رفع الفائدة سلاح مدمر لايصلح للحالة المصرية 06-07

مع اقتراب معرض الكتاب .. هذا طوق نجاة من موت النشر الورقي؟ 03

مأزق قيس سعيد أم أزمة تونس (الحلقة الأخيرة): احتمالات المستقبل 05

قناة تليفزيونية تنطلق من دبى وتحاول السطو على اسم «المشهد»

مساء يوم ١١ يناير الجارى انطلقت قناة تليفزيونية جديدة من مدينة دبى للإعلام حاملة معها نذر معركة قانونية، بعد قيام مؤسسيها بالسطو على اسم مؤسسة صحفية مصرية وعلامتها التجارية..

وفوجئت صحيفة المشهد ، التى تصدر كموقع إخبارى إلكترونى منذ يوليو ٢٠١١ ، وصحيفة مطبوعة منذ يناير ٢٠١٢ فى يونيو الماضى بإعلان الإعلامى اللبنانى طونى خليفة تأسيس قناة تليفزيونية تنطلق من مدينة دبى للإعلام وتحمل نفس الإسم التجارى لـ «المشهد»..

وتواصلت إدارة الصحيفة مع الإعلامى طونى خليفة بشكل ودى ومع محاميه فى القاهرة الأستاذ طارق العوضى منذ لحظة الإعلان عن الإسم لافتة انتباههما أن "المشهد" مسجلة كاسم وعلامة تجارية، وحققت من الذيوع والانتشار ما لا يمكن لأى مشتغل بالإعلام أن يتجاهله ، مطالبة بتغيير الإسم لأن ذلك يتناقص مع قوانين حماية الملكية الفكرية ومع اتفاق وبروتوكول مدريد بشأن حماية العلامات التجارية. وأوضحت إدارة المشهد أن مصر والإمارات العربية المتحدة من بين الدول الموقعة على بروتوكول مدريد ، وليس من المنطقى أن تسجل علامتان تجاريتان بنفس الإسم فى دولتين موقعتين على الاتفاق.

واستعانت إدارة المشهد بعدد من كبار المحامين لتبدأ إجراءات قانونية لوقف السطو على اسم المؤسسة، وتطلب وقف الترخيص الممنوح للقناة من قبل سلطات الإمارات العربية المتحدة للقناة حتى تغيير اسمها، وكذلك التعويض المادى الملائم عن الأضرار التى تلحق بمؤسسة المشهد جراء انتحال اسمها.

وكان الأستاذ طارق العوضى المحامى قد أكد أنه سيحيط موكله علما بالقضية ، كما رد الإعلامى اللبنانى طونى خليفة بشكل ودود فى البداية وقال إنه "يؤسفه سماع ذلك وأنه يستغرب عدم تنبه الفريق القانونى لذلك وأنه سيقوم بمراجعة الأمر معهم" ، الا أنه لم يتخذ أى إجراء.

وفى تقرير عن الأزمة فى اليوم السابق لانطلاقها قالت جريدة الأخبار اللبنانية: قناة «المشهد» تنطلق غدا ... فهل تمثل أمام القضاء؟ وأوضح التقرير أن القناة التى تنطلق بعد تأجيلات كثيرة آخرها بسبب مباريات الـ «مونديال»، أعلن طونى خليفة انطلاق قناة «المشهد» وأطل المقدم اللبنانى فى فيديو قصير، كاشفاً عن توقيت ولادة الشاشة الجديدة التى تتخذ من الامارات مركزاً لها. كذلك أعلن عن الترددات الخاصة بالقناة عبر الأقمار الصناعية.

وأضافت الصحيفة: فى هذا السياق، لا يبدو أن إنطلاق المحطة الجديدة سيكون سهلاً، إذ إنّ هناك عقبات تواجهها. فقد كشف مجدى شندى رئيس تحرير صحيفة «المشهد» المصرية، أنه «سيقوم بإجراءات قانونية لوقف السطو على إسم المؤسسة التى يديرها".

كما نشرت صحف ومواقع RT والقاهرة ٢٤ والدستور وعشرات المواقع الأخرى تقارير عن أزمة سرقة العلامة التجارية للمشهد وطالب رئيس تحريرها إدارة قمر نايل سات بوقف بث القناة حتى تغيير اسمها.

وأوضح رئيس التحرير أن هناك مجموعة عوامل تحدث الالتباس وترقى بما حدث إلى سطو علنى منها:

- أن المؤسسة الصحفية المصرية تستخدم الأسم مجردا (المشهد) لأنها تصدر صحيفة مطبوعة وموقعا الكترونيا .. والقناة الجديدة تستخدمه مجردا أيضا بدون كلمة قناة.
- أن القناة أنشأت موقعا الكترونيا بهذا الأسم المجرد ولدى الصحيفة موقع الكترونى به
- أن فضاء السوشيال ميديا واحد ويستخدم فيه الاسم نفسه على تويتر وفيس بوك ويوتيوب وانستجرام وتليجرام وغيرها من المنصات.
- فيما يتعلق بالاسم هو ذاته علامة تجارية ، والنتيجة اسم يطغى على الآخر ، خاصة إذا كان طرف يمكنه أن ينفق بلا حساب وطرف أصلى محدود الإمكانيات.
- أنه كان من بين الخطط المستقبلية للمؤسسة إنشاء قناة تليفزيونية

هذا أدى إلى تداخل والتباس وجعلنى الصحيفة تتلقى مئات الاتصالات والرسائل تهنئة بالقناة ظنا أن مؤسسة المشهد هى من تطلقها، وأن إدارة المشهد نبهت الطرف الآخر منذ لحظة إعلان الاسم أملا فى تغييره.

تقرير: هيباتيا موسى

02

«سنوات عصيبة».. إضاءة على فساد الستينات

10

راضية سطانوفا: الموسيقى ستختفي من أفغانستان

جريدة أسبوعية - تصدر عن مؤسسة المشهد للصحافة والنشر

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير
مجدى شندى

الموقع الالكترونى
www.elmashhad.online

العدد 327 – السنة الحادية عشرة-
الأحد 15 يناير 2023م –
22 جمادى الآخر 1444هـ
12 صفحة - الثمن: 5 جنيهات

المشهد
لا سقف للحرية

كتاب

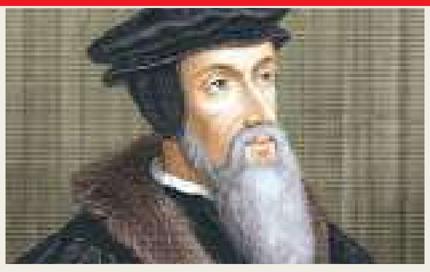

04 كالفن ضد كاستيليو: الديكتاتورية ضد الحرية

رياضة

11 موسم هجرة المدربين من الأندية الجماهيرية

مقالات

12 تاريخ أسود للقروض والديون في مصر

آمال إسرائيلية خائبة فى اتفاقات التطبيع مع دول الخليج

أين السياح؟ البصق والرشق بالأحذية فى انتظار المطبعين القلائل

عندما أبرمت إسرائيل اتفاقية مع الإمارات العربية المتحدة لفتح علاقات دبلوماسية فى عام ٢٠٢٠ ، جلبت إحساسًا مثيرًا بالإنجاز لدولة منبوذة منذ فترة طويلة فى الشرق الأوسط.

أصر المسؤولون على أن العلاقات الجديدة لإسرائيل مع الإمارات، وبعد فترة وجيزة مع البحرين، ستتجاوز الحكومات وتصبح معاهدات على مستوى المجتمع، مما يذكى السياحة الجماعية والتبادلات الودية بين من كانوا على خلاف لفترة طويلة.

لكن على مدى عامين منذ انجاز الاتفاقين، لم يكن التدفق المتوقع للسياح من دول الخليج العربية إلى إسرائيل أكثر من النذر اليسير. على الرغم من تدفق أكثر من نصف مليون إسرائيلى إلى أبو ظبى الغنية بالنفط ودبى المرصعة بناطحات السحاب، إلا أن ١٦٠٠ مواطن إماراتى فقط زاروا إسرائيل منذ أن رفعت القيود المفروضة على السفر بسبب فيروس كورونا العام الماضي، حسبما قالت وزارة السياحة الإسرائيلية لوكالة أسوشيتيد برس.

ولا تعرف الوزارة عدد البحرينيين الذين زاروا إسرائيل لأنها قالت، "الأعداد صغيرة للغاية".

وقال مرسى حجة، رئيس منتدى المرشدين السياحيين الناطقين بالعربية فى إسرائيل: "لا يزال الوضع غريبًا وحساسًا للغاية". يشعر الإماراتيون وكأنهم ارتكبوا خطأ ما فى المجيء إلى هنا ".

يقول الخبراء إن نقص السائحين الإماراتيين والبحرينيين يعكس مشكلة صورة إسرائيل الطويلة الأمد فى العالم العربى ويكشف عن حدود اتفاقيات إبراهام.

على الرغم من ارتفاع حجم التجارة الثنائية بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة من ١١,٢ مليون دولار فى عام ٢٠١٩ إلى ١,٢ مليار دولار العام الماضي، فقد تراجعت شعبية الاتفاقيات فى الإمارات والبحرين منذ توقيع الصفقات، وفقًا لمسح أجراه معهد واشنطن للنير إيست بوليسى (سياسة الشرق الأدنى)، وهى مؤسسة فكرية أمريكية.

فى الإمارات العربية المتحدة، انخفض الدعم إلى ٢٥٪ من ٤٧٪ فى العامين الماضيين. فى البحرين، يؤيد ٢٠٪ فقط من السكان الصفقة، انخفاضًا من ٤٥٪ فى عام ٢٠٢٠. فى ذلك الوقت، خاضت إسرائيل غزة حربًا مدمرة ضد غزة وارتفع العنف فى الضفة الغربية المحتلة إلى أعلى مستوياته منذ سنوات.

ويقول مسؤولون إسرائيليون إن السياحة الخليجية إلى إسرائيل جزء مفقود من شأنه أن يحول الاتفاقات إلى ما هو أبعد من العلاقات الأمنية والدبلوماسية. كما أن الزيارات السياحية من مصر والأردن، وهما أول دولتين توصلتا إلى سلام مع إسرائيل، غير موجودة تقريبًا.

يقول أمير حايك، السفير الإسرائيلى لدى الإمارات، لوكالة أسوشيتيد برس: "نحن بحاجة إلى تشجيع (الإماراتيين) على القدوم لأول مرة." ويضيف:"إنها مهمة مهمة. نحن بحاجة إلى الترويج للسياحة حتى يعرف الناس بعضهم البعض ويفهمون بعضهم البعض."

سافر مسؤولو السياحة الإسرائيليون إلى الإمارات الشهر الماضى فى حملة تسويقية لنشر فكرة أن إسرائيل وجهة آمنة وجذابة. وقالت الوزارة إنها تستهدف الآن تل أبيب – المركز التجارى والترفيهى لإسرائيل – كحافز كبير للإماراتيين.

يقول وكلاء السياحة إن الرهان على القدس

(المحتلة) أدى إلى نتائج عكسية حتى الآن. أدت الاضطرابات فى المدينة المتنازع عليها إلى إبعاد الإماراتيين والبحرينيين، الذين واجه بعضهم رد فعل عنيف من الفلسطينيين الذين يرون التطبيع خيانة لقضيتهم. فى حين يحظى النضال الفلسطينى من أجل الاستقلال عن الاحتلال بدعم واسع فى جميع أنحاء العالم العربي.

قال دان فيفرمان، مدير "شراكة" ، وهى مجموعة تروج للتبادلات الشعبية بين إسرائيل والعالم العربي، "لا يزال هناك الكثير من التردد القادم من العالم العربي" . "إنهم يتوقعون (إسرائيل) أن تكون منطقة نزاع، ويتوقعون أن يتعرضوا للتمييز". بعد أن قاد رحلتين للبحرينيين والإماراتيين إلى إسرائيل، كافح "شراكة" للعثور على المزيد من مواطنى دول الخليج العربية المهتمين بالزيارة، على حد قوله.

عندما زارت مجموعة من المؤثرين الإماراتيين والبحرينيين على وسائل التواصل الاجتماعى فى عام ٢٠٢٠ مجمع المسجد الأقصى، ثالث أقدس المواقع فى الإسلام، تعرضوا للبصق والرشق بالأحذية فى البلدة القديمة بالقدس، بحسب حجة، مرشدهم السياحي.

عندما زارت مجموعة أخرى من المسؤولين الإماراتيين موقع نقطة الاشتعال برفقة الشرطة الإسرائيلية، أثاروا غضب مفتى القدس الشيخ محمد أحمد حسين، الذى أصدر فتوى ضد الإماراتيين الذين يزورون المسجد تحت إشراف إسرائيلي.

يقول معظم الإماراتيين والبحرينيين الذين زاروا إسرائيل إنهم تخلوا عن لباسهم الوطنى وحجابهم حتى لا يجذبوا الانتباه.

رفضت الأوقاف الإسلامية التى تدير المسجد الإجابة عن أسئلة حول عدد الزوار الإماراتيين والبحرينيين وكيفية معاملتهم فى المجمع.

لا يقتصر الغضب الفلسطينى على الإماراتيين على الساحة المقدسة. يقول المواطنون الإماراتيون الذين يزورون إسرائيل ويدرسون فيها إنهم يواجهون تهديدات متكررة بالقتل وهجمات عبر الإنترنت.

قالت سمية المهيري، وهى إماراتية تبلغ من العمر ٣١ عامًا من دبى تدرس لتكون ممرضة فى جامعة حيفا: "لا يمكن للجميع التعامل مع الضغط. لم أستسلم للتهديدات، لكن الخوف يمنع الكثير من الإماراتيين من الذهاب."

الخوف من العنصرية ضد العرب فى إسرائيل يمكن أن يدفع عرب الخليج بعيدًا. اعتقلت الشرطة الإسرائيلية عن طريق الخطأ سائحين إماراتيين فى تل أبيب الصيف الماضى أثناء البحث عن (مقاوم) قام بإطلاق النار من سيارة مسرعة. اشتكى بعض الإماراتيين على وسائل التواصل الاجتماعى من توجيه تدقيق غير مرغوب فيه من قبل مسؤولى الأمن فى مطار بن غوريون الإسرائيلي.

قالت حجة: "إذا أحضرتهم إلى هنا ولم تعاملهم بطريقة حساسة، فلن يعودوا أبدًا ويطلبوا من جميع أصدقائهم الابتعاد".

وتعهد بنيامين نتنياهو، الذى عاد لولاية سادسة كرئيس للوزراء الأسبوع الماضي، بتعزيز الاتفاقيات مع البحرين والمغرب والإمارات والسودان. لا تزال العلاقات الرسمية مع السودان بعيدة المنال فى أعقاب الانقلاب العسكرى وفى غياب برلمان للمصادقة على اتفاق التطبيع مع إسرائيل الذى توسطت فيه الولايات المتحدة.

بصفته مهندسًا رئيسيًا للاتفاقات، يأمل نتنياهو أيضًا فى توسيع دائرة الدول والتوصل إلى اتفاق مماثل مع المملكة العربية السعودية.

ومع ذلك، يخشى الخبراء من أن حكومته الجديدة – الأكثر قومية ومحافظة دينيا فى تاريخ إسرائيل – قد تزيد من ردع السائحين العرب الخليجيين بل وتعرض الاتفاقات للخطر. وتعهدت حكومته بتوسيع مستوطنات الضفة الغربية وتعهدت بضم كامل المنطقة، وهى خطوة تم تعليقها كشرط للاتفاق المبدئى مع الإمارات.

وقال موران زاغا، الخبير فى دول الخليج العربية بجامعة حيفا فى إسرائيل، "لدينا سبب يدعو للقلق بشأن أى تدهور فى العلاقات".

حتى الآن ، لم تقدم حكومات دول الخليج العربية أى سبب للقلق.

فى احتفال باليوم الوطنى للإمارات الشهر الماضى تم تصوير السفير الإماراتى وهو يحتضن بحرارة إيتمار بن غفير، أحد أعضاء التحالف الأكثر تطرفا (والذى دنس ساحة المسجد الأقصى أمس) ، وخلال عطلة نهاية الأسبوع، اتصل زعيم الإمارات الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، بنتنياهو لتهنئته ودعوته للزيارة.

إنها قصة مختلفة بين أولئك الذين ليسوا فى السلطة الرسمية.

وكتب عبد الخالق عبد الله، المحلل السياسى الإماراتى البارز، على تويتر: "آمل ألا تطأ أقدام نتنياهو ومن معه أرض الإمارات.أعتقد أنه من المناسب تجميد اتفاقات إبراهام مؤقتًا."

أسوشيتد برس – ترجمة: فدوى مجدي

المشهد

العدد 327 - السنة الحادية عشرة- الأحد 15 يناير 2023م - 22 جمادى الآخر 1444هـ

قالت العرب

ما في الجبة أحد / تفنى الناس .. أسماء الناس / و يفنى الوسواس
الخناس / يبقى لوابا بالجبة وجه الغيب الصمد / كيف رأيت الموت؟ /
كبشا أملح يذبح، لكني حين دنوت / لم أرَموتا / كانت أصوات من ياقوت
تهوي في العتمة

طاهر رياض - شاعر أردني معاصر

كم من السنوات العصيبة مرت على مصر؟ .. وكم منها يمكن أن يأتي لو لم نتعلم مما فات ، ونستخلص منه الدروس والعبر. وهذا حتى لانكرر ما كان ، وتحل بنا المزيد من سنوات عصيبة وكأنها بلا نهاية.

«سنوات عصيبة» كما شهد عليها النائب العام «محمد عبد السلام»

زكريا عبدالعزيز

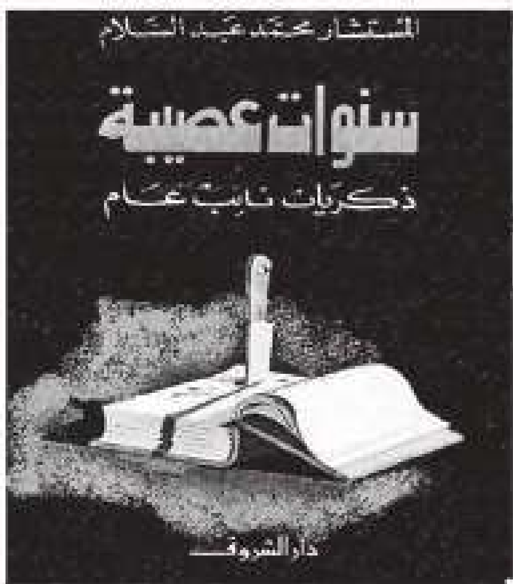

ناصر

عامر

يحيى الرفاعي

هشام جنينة

عادل عيد

إضاءة على فساد الستينات وعلاقات المحسوبية بين المتورطين وكبار رجال الدولة تغير الصورة الوردية السائدة

في ربيع عام ١٩٧٥ . أى قبل نحو ٤٨ عاما . صدر عن دار نشر "الشروق" بالقاهرة كتاب يحمل عنوان : " سنوات عصيبة: ذكريات نائب عام " . وصاحبه هو المستشار "محمد عبد السلام" النائب العام فى عهد الرئيس "جمال عبد الناصر" رحمه الله بين أعوام ٦٣ و ١٩٦٨ . وهى سنوات مهمة لاعتبارات عديدة، من بينها أنها شهدت تجربة التحول الاشتراكى والتصنيع والقطاع العام واستكمال الخطة الخمسية الأولى على طريقة ما يسمى "بالاشتراكية العربية". وأيضا شهدت هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ بمقدماتها ونتائجها ، ومن بينها "انتحار" المشير عبد الحكيم عامر صديق "عبد الناصر" المقرب ونائبه فى رئاسة الجمهورية وقائد الجيش ، وضرب مجموعته فى الحكم ورموزها مثل اللواء " صلاح نصر" فيما عرف بمحاكمة "انحراف جهاز المخابرات"، وكذا مظاهرات العمال والطلبة ١٩٦٨ . وهذه السنوات تنتهى بحدث لا يقل أهمية وخطورة ، وهو "مذبحة القضاة" فى أغسطس ١٩٦٩، والتى لا يغفل الكتاب عن تناولها وتتبع آثارها إلى ما بعد بداية عقد السبعينيات.

ولا أعرف لليوم لماذا لم تحظ ذكريات النائب العام المستشار "محمد عبد السلام" بالاهتمام الذى يؤهلها ما ورد فى صفحات كتابه هذا من وقائع خطيرة كاشفة ومعززة بأرقام وتواريخ القضايا والتحقيقات والمراسلات والتقارير؟. وهى بحق وقائع بالغة الأهمية والدلالة ، وبشهادة تستمد قيمتها ومصداقيتها من منصب الرجل بين كبار المسئولين فى السلطة القضائية والدولة فى تلك السنوات من عهد الرئيس "عبد الناصر" قبل وبعد هزيمة ٥ يونيو.

ولست فى وارد عرض ما جاء فى هذا الكتاب / الشهادة. ولحسن الحظ تتوافر نسخة إلكترونية منه بمواقع فى شبكة الإنترنت ، وإن كانت غير مرقمة الصفحات أو مصورة ضوئيا من الكتاب الورقي. ولكى أعثر على الكتاب فى طبعته الصادرة من دار النشر تطلب الأمر جهدا فى البحث واستعارة من مكتبة يتجاوز عمرها تاريخ نشر الكتاب.

بالطبع لست فى وارد عرض ما تضمنه الكتاب فى مقال. لكننى أود الإشارة إلى أن أهميته وجديته تنبع أيضا من نسبة وقائع الاستبداد والتسلط والفساد والمحسوبية إلى أسماء أصحابها وبمناصبها الرفيعة ، وكذا إلى من قام بحمايتهم فى أعلى مراكز السلطة ، وذلك بأرقام وتواريخ تحقيقات النيابة وقضايا المحاكم. وتسمح قراءة الكتاب بإعادة النظر والتقييم لأدوار شخصيات بعضها مازال فاعلا فى حياتنا العامة لليوم أو إلى عهد قريب، من أمثال : "محمد فائق" و"سامى شرف" أطال الله عمرهما ومتعهما بالصحة ، ومن فى ذمة الله كـ " ضياء الدين داوود" و "علي صبري" و "شعراوى جمعة" والفريق "محمد فوزي" و "سعد زايد" و "محمد حسنين هيكل"، وعدد من وزراء العدل من بينهم " محمد أبو نصير" وكبار رجال السلطة القضائية السابقين. كما لا تخلو القائمة الطويلة لشخصيات هذا العهد المقترنة بوقائع موثقة من رجل أعمال مثل المرحوم "لطفى منصور"، وهو على صلة بتحقيقات تتعلق بفساد فى تصدير القطن المصرى للخارج.

و يفتح الكتاب النظر على قضايا الفساد فى سنوات هذا النائب العام وحجمها الخطير من شركات القطاع العام والمجمعات الاستهلاكية الناشئة وصناعة السيارات إلى الوزارات وجهاز رئاسة الجمهورية وغيرها. وكذا علاقات المحسوبية المبكرة بين المتورطين المباشرين فى هذه القضايا وبين كبار رجال الدولة ، مع تواطؤ أعلى مستويات السلطة فى حماية الفاسدين.

ولا يدعى صاحب الكتاب ولا كاتب هذا المقال أن عهد مصر الملكية السابق أو ماتلى سنوات حكم "عبد الناصر" كانت خالية من الفساد أو يدعى الحكم بأنها الأقل أو الأكثر فسادا. وفى الكتاب لا شبهة لأى مقارنات من هذا النوع. بل نلمس من صاحب الشهادة ومن موقعه المهم المطلع وكجزء من "النظام" إخلاصه وحرصه على إنجاح أهداف ثورة يوليو وتطبيق الاشتراكية وتجربة القطاع العام وغيرته على أموال ومقدارت الشعب ووسائل الانتاج المملوكة باسمه.

ومع هذا، فإن كتاب المستشار " محمد عبد السلام" يتحدى صورا نمطية "وردية" عن سنوات الستينيات تلك ، ولعل بعضها جراء جناية داء الحنين للماضى "النوستالوجيا" .. وكل ماض. وعلى ذات القدر من الانكشاف والأهمية ، يوثق الكتاب وقائع تفيد بصراع داخل القضاء وبين القضاة ومع رجال السلطتين التنفيذية والتشريعية بشأن مكافحة هذا الفساد ومختلف أشكال انتهاك حقوق المواطنين وحرياتهم من الاعتقالات خارج القانون والتعذيب وغيرها . ويدهش القارئ للكتاب اليوم عندما يطلع على حجم مقاومة هذا الفساد وانتهاك حقوق المواطنين وحرياتهم من داخل النيابة العامة وعموم رجال القضاء ، ومن الشجاعة التى تحلت بها أعداد لافتة بينهم فى الكفاح من اجل استقلالية السلطة القضائية ونزاهتها والانحياز للمواطن.

وتبرز فى هذا السياق أسماء من نور إلى جانب المستشار "محمد عبد السلام" كالمستشار "يحيى الرفاعي" رحمه الله الذى لعب دورا مقدرا ومحترما فى عقد الثمانينيات. وكان بمثابة الأب الروحى لحركة استقلال القضاء وللقضاة المحترمين ومن خلال أنديتهم. وهى الحركة التى كان لها أثر وصدى فى المجتمع وتاريخ مصر قبل نهاية عهد "مبارك"، وستظل ذكراها وأسماء أبطالها كالقضاة الأجلاء "زكريا عبد العزيز" و" محمود الخضيري" و "هشام جنينة" وآخرين محفورة فى ذاكرة المصريين .

ومن بين أسماء القضاة المجللة بالنور فى الكتاب من عاد وترك أثرا طيبا وسمعة ناصعة تحت قبة البرلمان وفى ساحة المحاماة والحياة العامة والنشاط الحقوقى إلى ماقبل سنوات كالمستشار "عادل عيد" رحمه الله. وقد ورد فى الكتاب عنه تصديه وصموده لضغوط السلطة وتمسكه كقاضى عندما حكم فى قضية تهريب رجل شرطة بالأسكندرية لسبائك ذهبية. وما تبع هذا من انتقام ضمن مذبحة القضاة.

ولعل ما فى الكتاب يدعو المؤرخين لإعادة النظر فى مسلمات تتعلق بقضايا مهمة مثل اعتقال وحبس الصحفى "مصطفى أمين" واتهامه بالتجسس لصالح المخابرات الأمريكية ١٩٦٥ و كمشيش ١٩٦٦ ، وحتى فيما يتعلق بالمسؤولية عن انتحار "المشير" عبد الحكيم عامر "، أو بالأدق "تركه ينتحر" وتعمد عدم إسعافه والإصرار على نقله من المستشفى بالمخالفة لطلب طبيبه المعالج إلى مكان احتجازه وبعيدا عن أسرته.

ويقدم الكتاب شهادة بالغة الأهمية والثراء عن مظاهرات العمال والطلبة عام ١٩٦٨ ومن واقع تحقيقات النيابة واتصالات النائب العام مع السلطات والهيئات، وبينها وزير الداخلية "شعرواى جمعة". ويوثق بيانات المحتجين ومطالبهم وشعاراتهم فى المظاهرات، وفى مقدمتها المطالبة بمكافحة الفساد وحرية التعبير والصحافة ، مع المناداة بإنهاء "دولة العسكريين والمخابرات و المباحث" وأكاذيب الصحافة حينها.

وتعرض مذكرات النائب العام خلال ست سنوات من عقد الستينيات لصراع خفى تحت السطح بين سلطات الدولة وكبار رجالها حول الاعتقالات والتعذيب ، وسواء مع وزير الداخلية أو الشرطة العسكرية. كما يتضمن الكتاب نص وثيقة مهمة. وهى تقرير وضعته لجنة شكلتها وزارة العدل بعد بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ لمراجعة عدد من القوانين الاستثنائية ومحاولة كبح جماح المحاكمات العسكرية للمدنيين. لكن مناقشة التقرير فى مجلس الأمة حينها انتهت إلى اجهاض محاولة الإصلاح والمراجعة ، وفق شهادة المستشار "محمد عبد السلام".

ولايملك القارئ اليوم إلا أن يتساءل : لماذا ظل هذا الكتاب / الذكريات / الشهادة طى النسيان إلى حد كبير؟. وربما غطى على الكتاب فلم يأخذ ما يستحق من الاهتمام والنقاش والذيوع ، خاصة وأن النشر جرى فى توقيت توالت فيه الكتب المثيرة للاهتمام والجدل. تنتقد عهد "عبد الناصر" وحكمه ، وتزيل القداسة عن "الزعيم" أو تدافع عنه وتتمسك بهذه القداسة.

وعندما أعود بذاكرتى إلى هذا الصبى فالشاب الصغير الذى كنته قارئا فى هذه السنوات ، أتذكر العديد من الكتب المدوية الوقع ، والتى طالعتها وغيرى فى حين صدورها ، وتابعنا ردود الفعل عليها. ولعل من أهمها: "عودة الوعى " لتوفيق الحكيم عام ١٩٧٤ و "أقنعة الناصرية السبعة" للدكتور لويس عوض عام ١٩٧٥ . وإلى هذه السنوات قرأت وجيلى مبكرا كتبا فى الاتجاه ذاته لاتجارى هذين الكتابين فى العمق والقدرات التحليلية والأفكار وجدية المراجعات. ولكنها مليئة بوقائع أكثر إثارة تمس ضمير الإنسان حتى لو كان مخالفا لتوجهات أصحابها، مثل كتب :"أيام من حياتى فى سجون عبد الناصر" لزينب الغزالى ، و سلسلة " سنة أولى وثانية سجن ..إلخ" للصحفى "مصطفى أمين". وهذا بصرف النظر عن الحكم على ما بها بين الحقائق والمبالغات والافتراءات.

وحتى بين ضحايا معتقلات عهد "عبد الناصر" من اليساريين، قرأنا لمن بدأ فى التجرؤ على البوح والنشر فى كتب تصدر من القاهرة اعتبارا من النصف الثانى للسبعينيات. وأذكر من هذه الكتب على سبيل المثال لا الحصر :"فى معتقل أبو زعبل" لإلهامى سيف النصر و "رسائل الحب والحزن والثورة" للدكتور عبد العظيم أنيس رحمهما الله. ولعل هذه الكتب قد غطى عليها حينها وبدورها أيضا مابدا من "انقلاب" الرئيس أنور السادات رحمه الله على رفيقه ومن جلبه إلى رأس السلطة الرئيس "عبد الناصر" فى العديد من الأوجه والسياسات. وإن كانت هناك وجهة نظر ترى أن ما فعله "السادات" هو التطور الطبيعى والمنطقى لسياسات "عبد الناصر" فى سياق التحولات المحلية والإقليمية والدولية اللاحقة ، ومع شيوع وترسيخ ثقافة الخوف والسلبية وتجريد المجتمع من التنظيمات المستقلة التى بإمكانها أن تدافع عن الحقوق والمكتسبات الاجتماعية . وفى المحصلة بدا اليسار لعقود منذ منتصف السبعينيات فى أغلبه مستوعبا فى معارضة "تحولات السادات"، وفى معركة الدفاع عن "الميراث الناصري"، وبالاستناد إلى هذا الميراث فى الاشتراكية والقومية العربية والتحرر الوطنى والعداء لإسرائيل والولايات المتحدة والغرب والانحياز للفقراء والطبقة الوسطى.

حقا يتطلب كتاب "سنوات عصيبة" المزيد من البحث فى ملابسات وأسباب "تهميشه " لليوم. وهذا على أهمية ما يحتويه من وقائع موثقة تتجاوز الصراعات والاستقطابات الأيديولوجية والسياسية أو "الفرقعات الوجدانية" حول عهد "عبد الناصر". ولذا فبعدما قرأت كتاب المستشار " محمد عبد السلام"،إتصلت بدار نشره "الشروق"، فلم أظفر بمعلومة واحدة تجيب على أسئلة من قبيل: هل واجه الكتاب فى طبعته الأولى (أبريل ١٩٧٥) مشكلات أو ضغوط حالت دون توزيعه أوانتشاره ؟.. وهل هناك طبعات أخرى للكتاب ؟.. وهل هناك أى معلومات إضافية عن مؤلفه غير ما احتفظت به صفحات الكتاب ؟. وهذه أسئلة للأسف لم اتمكن من العثور على إجابات لها . وفقط أفاد من أجابنى هاتفيا من دار النشر بنفاد نسخ الكتاب. بل وبدا وكأنه لم يسمع به من قبل.

ولأن ما جاء فى الكتاب على قدر من الأهمية ويستحق عناء المحاولة من موقع الصحفى و التحجج بالعبارة المدونة فى كارنيه نقابة الصحفيين باللغتين العربية والإنجليزية "تقدم السلطات المختصة المعلومات وتسهل مهمته" فقد طرقت . فى هذا الزمن الصعب على مهنتنا . أبوابا عديدة فى أروقة دار القضاء العالى ، ووقفت بباب نادى قضاة مصر طلبا لمعلومات عن المستشار "محمد عبد السلام"، و لو اسمه ثلاثيا أو عن ورثته أو حتى صورته الفوتوغرافية بوصفه كان من بين نواب عموم ورؤساء محكمة استئناف هذا البلد.

وعدت خائبا حانقا مما وصل إليه حال الاستهانة بالصحافة والعدوان على حق القارئ والجمهور فى المعرفة. وأيضا من جراء الإهمال والاستهانة بالأرشيفات والتوثيق. ولعلنى بمناسبة هذه "المغامرة الصحفية الخائبة" أعود لأكتب مقالا عن تفاصيلها. وهذا نظرا لما تكشف عنه وتوثقه هذه المحاولة بشأن ما وصل إليه حال الصحافة والصحفيين ونقابتهم فى سنواتنا هذه. ولكن لا يسعنى الآن إلا أن أتمنى على كل من يملك معلومة عن الكتاب و القاضى المحترم "محمد عبد السلام " أن يتفضل بنشرها، أو الإتصال بكاتب هذا المقال.

وفى ظنى أن قيمة كتاب " سنوات عصيبة" باقية بعد كل هذه السنوات وأكثر. ببساطة هو من النصوص التى تدعونا للتعلم مما كان كى لانستمر فى أخطاء الماضى وكوارثه.

بقلم: كارم يحيى

مؤشرات

خطاب النوايا وغياب شفافية الحكومة

محمود الحضرى

اعترفت الحكومة فى خطاب النوايا لبرنامج الإصلاح الإقتصادى الجديد ، الذى دخل حيز التنفيذ خلال الأيام الأخيرة ، بأنها التزمت بإبطاء وتيرة الاستثمار فى المشاريع العامة بما فى ذلك المشاريع القومية ، وذلك للحد من التضخم والحفاظ على العملة الأجنبية.

الاعتراف جاء فى تقرير لخبراء صندوق النقد الدولى ، صدر الثلاثاء ١٠ يناير الجارى ، والذى قال إن الحكومة المصرية التزمت بمرونة العملة ودور أكبر للقطاع الخاص ومجموعة من الإصلاحات النقدية والمالية ، لتنفيذ اتفاق على حزمة دعم مالى بقيمة ثلاثة مليارات دولار مع الصندوق.

وخطوة الحكومة بشأن "إبطاء وتيرة المشروعات القومية" ، تأخرت كثيرا وطالب بها خبراء ومتخصصون مصريون على مدى السنوات الماضية ، قبل أن يطالب صندوق النقد بها ، إلا أن الحكومة رضخت لمطالب الصندوق ، لم تلتفت لتحذيرات الاقتصاديين ، والتى اعتبروها أحد أهم الشروط لمواجهة تداعيات الأزمة الاقتصادية ، والتى أدت إلى ارتباك فى الشارع ، وموجات غلاء متتالية ، كرد فعل لتداعيات الأزمة الإقتصادية العالمية الناجمة عن الحرب الروسية الأوكرانية ، ومن قبلها أزمة وباء "كوفيد -١٩".

رغم محاولات الحكومة نفى أى ابطاء أو تأجيل لمشروعات قومية ، إلا أن تقرير صندوق النقد وضع النقاط على الحروف ، وكشف ما تم التوصل إليه ، من التزام الحكومة بمجموعة تعهدات خلال المرحلة المقبلة ، على رأسها تخفيض مستمر لسعر الجنيه أمام الدولار ، وبالتالى أمام باقى العملات الأجنبية والعربية.

والأهم هو وقف الإنفاق على المشروعات العامة ، إلا أن تقرير صندوق النقد لم يحدد المشاريع التى ستخضع لبرنامج تخفيض الإنفاق عليها ، أو وقفها تماما ، أو ربما تأجيل البعض منها لأجل غير مسمى ، طالما أنها لا تمثل أهمية فى هذه المرحلة.

ومن المهم أن تخرج الحكومة على الناس بحالة عالية من الشفافية ، وتكشف عن مختلف ما ستنفذه من برامج ضمن التزاماتها فى خطاب النوايا ، والذى سيخضع لرقابة ومتابعة من صندوق النقد الدولى ، فالأولى أن يعرف الشعب "رأسه من رجليه" فى ملف مهم يمس حياة كل فرد ، ولا يمكن أن يبقى الشعب "كالأطرش فى زفة الإصلاح الإقتصادي" ، بل الأهم أن يمارس مجلس النواب دوره فى دعوة الحكومة لتقديم توضيحات عن كل التفاصيل الواردة فى خطاب النوايا وجدول تنفيذها ، حتى لا يفاجأ الشارع بقرارات تؤثر على حياته ، من رفع لأسعار الخدمات والسلع الإستراتيجية.

لابد من توضيحات صريحة ومحددة تقدمها الحكومة عن تعهداتها بتحريك أسعار الكهرباء والمحروقات من بنزين وخلافه ، حتى أسعار المياه وأسعار أى رسوم خدمية أو ضرائب عامة وعلى الدخل، وغيرها من التعهدات.

وتقرير خبراء صندوق النقد قال صراحة ، أنه وبموجب خطاب النوايا، قالت مصر "الحكومة" إنها ستسمح لأسعار معظم منتجات الوقود بالارتفاع حتى تتماشى مع آلية مؤشر الوقود فى البلاد لتعويض التباطؤ فى مثل هذه الزيادات خلال السنة المالية الماضية ، ولم يعد هناك أسرار فى هذا الإتفاق.

ولاشك أن ترك الأمور للمفاجأة لم يعد يصلح ، فلابد أن يكون الشعب على بينة بكل ما يجرى وسيجرى فى الفترة المقبلة ، وتحديد مستويات تحريك الأسعار التى ستتم ، وسيراجعها صندوق النقد بشكل دورى ، والتى لن تتراجع عنها الحكومة ولا يمكن أن تنفيها ، فالشفافية هى عنوان المصداقية ، والسرية هى وسيلة الفاشل.

الحكومة التزمت وبالوثائق بالعديد من الأمور ، منها عدم التدخل فى أسواق العملة الأجنبية لتحقيق الاستقرار أو لضمان سعر للصرف ، إلا فى حالات التقلب الشديد ، مع السماح لسعر الجنيه بالتقلب أكثر من ذى قبل منذ خفض قيمته للمرة الثالثة فى أقل من عام مع مطلع العام الحالى ٢٠٢٣ ، وهو ما تكرر اليوم التالى لإعلان صندوق النقد فى مؤتمر صحفى بواشنطن مساء يوم ١٠ يناير ، عن تفاصيل خطاب نوايا الحكومة، حيث تم تخفيض قيمة الجنيه بنسبة وصلت ١٤٪، وهى النسبة التى تضاف لتخفيضات سابقة ، وصلت فى مجملها إلى أكثر من ١٠٠٪.

ومن الأمور التى يجب أن يتم الكشف عن تفاصيلها ، ما التزمت به الحكومة بالتخلى عن غالبية برامج الإقراض المدعوم ، وضمان أن تظل أسعار الفائدة بين البنوك "مرتبطة ارتباطا وثيقا" بنطاق أسعار الفائدة الذى يقرره البنك المركزى ، وهو ما تستهدف الحكومة من ورائه تعزيز كفاءة السياسة النقدية.

والشفافية هناك تعنى أهمية الكشف عن تداعيات هذا على الأسواق ، وكيفية مواجهة تأثيراته ، والمخاطر الناجمة عنه على أفراد الشعب ، بكل مستوياته ، فلم تعد هناك شرائح تعتبر فى مأمن من تأثير هذا البرنامج الإصلاحي.

ومن الأسئلة المهمة التى من الواجب والضرورى أن تجيب عنها الحكومة، هو "هل كان الطريق الوحيد لحل الأزمة ، هو طلبها من صندوق النقد الدعم بعدما أدت الحرب فى أوكرانيا إلى زيادة مواطن الضعف الحالية فى ظل زيادة صعوبات الأوضاع المالية العالمية وارتفاع أسعار السلع الأولية؟، أم كانت هناك حلول أخرى؟ بعيدا عن شروط هذا الصندوق؟!.

والسؤال الآخر والمهم أيضا ، ويجب الإجابة عليه من الحكومة ، هل كان قرارها بالدخول فى العديد من المشروعات القومية ، وبناء مدن جديدة ، والاستمرار دون أى محاولة لإعادة هيكلتها ، وإعادة النظر فى جداول تنفيذها ، وبما فى ذلك شبكات الطرق الواسعة والجسور "الكباري".. فالسؤال "هل هذا خطأ أم صواب؟ ولماذا؟".. خصوصا أن دول كثيرة اتخذت قرارات مهمة بجدولة مشروعاتها الكبيرة ، فى هذه الأزمة وأزمات مماثلة ، ويدخل فى ذات السؤال استمرار مشروعات السكك الحديدية فائقة السرعة ومحطة الطاقة النووية ، وغيرها من مشروعات تصل تكلفتها إلى عشرات المليارات من الدولارات وليس الجنيهات.. مع وجود أزمة فى النقد الأجنبي.

الإجابات الشافية والوضوح مسألة ما زالت غائبة ، لا يمكن أن تظل الحكومة والقيادة السياسية فى حالة صمت عليها ، فالناس تريد أن تعرف الحقيقة ، وتوجهات المركب "الإصلاحي" الذى تقودة الحكومة وحدها ، دون مشاركة أو حوار مجتمعى أو سياسى بشأنه.

قالت العرب

أشجار تنضو عفتها و سماء ترتعد / وأنا الباطل ميراثي حجر مقدود بالدم
/ ومشهوق حد الله وروحي مددُ / لكنَّ ظلالا حمرا كانت تمسح أعضائي ومرايا
تتقد / مكتظا كنت بغيري و وحيدا / مكسورا صمتي ملتافا بسواي أغني

مع اقتراب معرض الكتاب .. هل سيموت النشر الورقي؟

أيام قليلة تفصلنا عن الدورة الـ ٥٤ لمعرض القاهرة الدولى للكتاب، والذى يرتاده فى المتوسط مليونا زائر سنويا، ويُعد من أكبر معارض الكتاب فى الشرق الأوسط، وأيّا ما كانت الأزمات الحالية يبقى هو الحدث الثقافى الأبرز والأهم والأضخم والأكثر حضورا؛ فالجميع داخليا وخارجيا يعرف حجم مصر الثقافي وقدرها الفنى وتأثيرها الأدبي، ورغم ان هذا العام شهد العديد من الأزمات الاقتصادية التى أثرت بشكل مباشر على صناعة النشر الورقي؛ إلا ان هناك حالة تفاؤل كبيرة؛ لدرجة توقع معها خبراء هذا المجال ان تحقق هذه الدورة نسب نجاح تفوق نسب النجاح التى حققتها الدورة السابقة، والتى شارك فيها حوالى ١٠٦٣ دار نشر، ولكن بحسب ما نشر ، فان عدد دور النشر التى ستشارك هذا العام يبلغ ٨٦٠ دارا، وهو رقم يتعارض مع تصريحات القائمين على هذه الدورة؛ خاصة وانهم أعلنوا بشكل رسمى عن حزمة من الإجراءات لإنعاش حالة الركود التى أصابت سوق النشر بسبب تداعيات الأزمة الاقتصادية؛ فسبق وابدى الناشرون استياءهم من ارتفاع إيجارات المساحة المخصصة للدور؛ ليفاجأوا هذا العام بان قيمة الإيجار ارتفعت مرة آخرى مما دفع وزيرة الثقافة نيفين الكيلانى لإصدار قرار بتخفيض جزئى من نسبة الزيادة، ومن جانبهم قام المسؤولون بعدة اجراءات هدفت إلى زيادة عدد دور النشر المشاركة فى هذه الدورة؛ حيث وافقت الهيئة على مشاركة جميع دور النشر التى تقدمت للاشتراك فى المعرض، فضلًا عن تخصيص جناح فى المعرض لدور النشر الصغيرة؛ كما غابت قائمة الانتظار التى كانت تحمل عددا كبيرا من دور النشر خصوصا الجديدة؛ إلى جانب منح توكيل لدور النشر التى خصص لها جناح بمساحة ١٨م، وكلها تسهيلات لم تكن موجودة من قبل ، لتشجيع أكبر عدد ممكن من الناشرين على المشاركة.

روشتة علاج لحل أزمات الكتب والمطبوعات: الحرية ثم إلغاء الضرائب والجمارك بداية الطريق

جرجس شكرى

شريف صالح

أشرف غريب

زكى سالم

خالد عدلى

محمد الروبى

سمير درويش

جرجس شكري: لا توجد إملاءات .. ونشرت بحرية شديدة كل الكتب المثيرة للجدل

شريف صالح: لا توجد لدينا مصداقية واتحدى أى دار نشر تعلن عن مبيعاتها بشفافية

أشرف غريب: مشروع بتكليف رئاسى لانشاء منصة ثقافية موحدة تضم أرشيف الصحف والمجلات

زكى سالم: كيف يقرأ المواطن كتابا، وهو جائع؟! الباحث عن ضروريات الحياة لن يضع الفن والثقافة على أولوياته

خالد عدلى : المستقبل للنشر الالكترونى لسهولته ولمحاربة الغلاء علاوة على سرعة انتشاره

محمد الروبي: إما نهجر المهنة أو تهجرنا هى وإما أن نرضخ ونتأقلم مع النشر الإلكترونى ونتعود على الشاشات

سمير درويش: المستقبل للمنتج الإلكتروني، وما يفصلنا عنه ضَعْفُ معرفتنا بأدواته والحنين (القديم) للورق

وسواء كان العدد ٨٦٠ أو ١٠٦٣ دار نشر ، فالأهم شعور المسؤولين بالأزمة التى يشهدها سوق النشر الورقى فى مصر؛ سواء على مستوى الجرائد والمجلات أو الكتب؛ خاصة وان الأمور أصبحت واضحة للقاصى والداني؛ فبعض الإصدارات الورقية توقف بالفعل بينما تحول البعض الآخر للنشر الالكتروني، وكلما قرأت وبحثت فى هذه الأزمة وجدت الجميع يدور فى فلك عدد محدد من الأسئلة النمطية والإجابات الأكلاشهية؛ فوجدت نفسى أمام إجابات جاهزة كالوجبات السريعة التى لاتسمن ولا تغنى من جوع، وما بين التخوفات المستقبلية والتباكى على الماضى وصراعات الحاضر ، تحولت الأزمة من حالة فردية إلى حالة عامة، وأصبح سوق النشر الورقى مهددا بالانهيار بشكل كامل، والأسباب تنوعت ما بين ارتفاع أسعار الورق وارتفاع تكلفة الطباعة وجشع التجار، ولكن هل هذا كل ما فى الأمر؟ أم ان الأزمة لها أبعاد آخرى؟

يرى آخر حرافيش نجيب محفوظ الكاتب زكى سالم أن القضية قضية حريات؛ فالصحف التى طوال عمرها تقدم أخبارا جديدة وتحليلات تعكس وجهات نظر متنوعة فقدت تنوعها؛ وأصبح المعروض سواء فى الجرائد والمجلات أو حتى فى الكتب يعكس وجهات نظر أحادية ومن إتجاه واحد؛ علاوة على وجود مضايقات يتعرض لها المشتغلون فى هذا المجال. بالإضافة إلى الوضع الاقتصادى الراهن، والذى جعله يتساءل بسخرية مريرة: كيف يقرأ المواطن كتابا، وهو جائع؟! فالمواطن يبحث عن ضرورياته، ولذلك لن يضع الفن والثقافة على أولوياته.

قد يوافق البعض على هذا الطرح، ولكن أمين عام النشر فى الهيئة العامة لقصور الثقافة الناقد والشاعر جرجس شكرى يرى ان أزمة النشر أساسها المحتوى؛ فالمحتوى الجيد سيفرض نفسه، وعن أزمة الحريات يقول شكري: نشرت كل شيء كنت أرغب فى نشره .. الثابت والمتحول لأدونيس، وتهافت الفلاسفة، وتهافت التهافت؛ يتابع "شكري" حديثه: وكما تعرف ان الكتابين يتناولان الصراع الشهير بين الإمام الغزالى والفيسلوف ابن رشد، ولم يعترض أحد، ولم أتعرض لأى نوع من الوصاية ولا الإملاءات؛ كما نشرت ٤٠ كتابا من سلسة الهوية، وهى كتب نوعية ومتخصصة فى التاريخ المصرى والشخصية المصرية، وهذه الكتب نفد أغلبها، ونشرت ٥٠ كتبا من ورائع تراث المسرح العالمى وأغلبها نفد .. نشرت كتب رفاعة الطهطاوى ونفدت؛ ذهبت الكوميديا الإلهية وكليلة ودمنة لمعرض الكتاب ونفدتا ؛ فالقضية تكمن فى اختيار المحتوى؛ فالمحتوى الذى يحترم عقل القارىء سيجد طريقه بسهولة للسوق.

يتابع شكري: طبعا هناك تحديات؛ فسعر الورق فى ارتفاع مستمر، وتكلفة الطباعة أصبحت عبئا شديد، ولكن سيظل الكتاب الورقى باقيا، ولكن شرط اختيار المحتوى الجيد .. يكمل شكرى حديثه: أنا احدثك عن كتب نشرتها بالفعل.

أقاطعه: هل هناك اختلاف بين أزمة الجرائد والمجلات وأزمة الكتب؟ يرد: لا تختلف كثيرا أنا اعمل بمجلة الإذاعة والتلفزيون منذ منتصف التسعينيات وقتها بعنا ٢٠٠٠ نسخة، وبعنا أيضا فى نفس الفترة ٥٠ ألف نسخة، وكان المعيار هو المهنية والجودة ..على رؤساء التحرير وفرق العمل؛ بل على الكتاب عموما إعادة النظر فى المحتوى الذى يقدمونه.

كان كلام "شكري" دقيقا وواضحا بل ومحددا، ولكن عند طرح الموضوع على طاولة النقاش سمعت أصواتا تُرجع نجاح مؤسسات الدولة بسبب الدعم الذى تحصل عليه هذه المؤسسات؛ رغم أننا فى الوقت ذاته شاهدنا إصدارات آخرى تتوقف وتتحول للنشر الإلكتروني؛ مثل الأهرام المسائى والمساء والكواكب، وغيرها من الإصدارات، ناهيك عن الأزمات المتلاحقة كأزمة المصرى اليوم، وأزمة محررى موقع مصراوي؛ أنا هنا لن أناقش هذه الأزمات، ولكنها ذات دلالة كاشفة لطبيعة الأزمة التى طالت الجميع؛ فحتى من استطاع الاستمرار لجأ لترشيد النفقات؛ سواء بتقليل عدد الصفحات أو بتقليل مكافآت النشر أو بوقفها من الأساس.

ما حدث مع الجرائد لم يختلف كثيرا مع دور النشر، والتى إبان هبوب نسائم معرض القاهرة أعلنت بشكل واضح عن باقات النشر، وعلى المؤلف اختيار الباقة التى تناسبه، والغريب فى الأمر ان هذا الوضع أصبح قاعدة عامة، والاستثناء هو عدم حصول الدار على نقود نظير النشر .. بالطبع لن أنكر وجود دور نشر تتكفل بكل شيء، ولن أنكر أيضا وجود دور آخرى تساهم مع الكتاب فى التكاليف؛ سواء فى النشر أو فى خدمة ما بعد النشر؛ كتنظيم حفلات التوقيع؛ أو دعم الكاتب فى المسابقات؛ أو تقديم كتب مجانية للقراء .. ولكن هذا لا ينفى المشكلة، والتى تزداد وتتفاقم يوما بعد يوم؛ مما هدد طبيعة العلاقة بين المؤلف والناشر، وفرض شكلا جديدا من أشكال التعامل. ورغم ان بعض دور النشر اعلنت على صفحاتها بشكل واضح التفاصيل المالية لهذه الباقات؛ إلا اننى سأشير لهذه الدور بالرموز حفظا لماء الوجة؛ ف دار (م) حددت ثلاث باقات مالية، وكل باقة توفر مجموعة من المميزات، ومن ضمن المميزات تجهيز الأعمال وتسجيلها بشكل قانوني، والمقصود بالشكل القانونى الحصول على "رقم الإيداع"؛ مع ان رقم الإيداع هى مهمة الدار الأساسية؛ أى انها ليس مزية! أما دار (و) فقدمت مجموعة من المميزات التى يلهث خلفها كتاب هذا الجيل؛ منها حصول المتعاقد على مجموعة من الفيديوهات المصورة، وفيديو للمتعاقد وهو يلقى قصائده أو يقرأ قصصه، وإنشاء موقع إلكترونى باسم المتعاقد على منصة "بلوجر" ..إلخ، وكلها مميزات بالفعل جيدة، ولكنها تكشف طبيعة القارىء والكاتب والناشر على حد سواء؛ وتأكيدا على ما اقول وجهت إحدى دور النشر إعلانها لمن لديه خبرات وأفكار وقصص نجاح ويريد تجميعها فى كتاب قيّم؛ لكنه لا يعرف من أين يبدأ وكيف يبدأ فقدمت الدار خدماتها وهي: خدمة تحرير وإعادة المحتوى!، وخدمة الكاتب المساعد!، وخدمة المدقق اللغوى .. أعتقد كان ينقص الإعلان ان تكتب هذه الدار (كل ماعليك عزيزى المؤلف ان تخبرنا باسمك وتحضر نقودك). اما دار (الـع) فصاغت الإعلان بشكل براق دون الإعلان عن أى رسوم مالية لكنها ارفقت مع الإعلان صورة مدون عليها الرسوم المالية. أما عن دار (ال.. ال) فقد أعلنت على صفحتها الرسمية تقديم فرصة للباحثين، وتتلخص الفرصة فى قيام الدار بنشر أبحاثهم فى مجالات العلوم! بالطبع لن اتفرع واناقش قيام بعض دور النشر والمراكز البحثية بعمل أبحاث بالنيابة عن الباحث نفسه، ولن اتفرغ لمناقشة البلاغ الذى قدمه جبرتى المسرح د. سيد على أستاذ النقد بكلية الآداب، إلى النائب العام ضد هذه الصفحات الفيس بوكية؛ لكننى ساقف عند صراحة ووضوح دور النشر فى تقاضيها للمبالغ المالية، والتى كانت بالدولار .. ناهيك عن الأقاويل المتعلقة بقيام دار نشر كبرى بتحصيل مبلغ دولارى نظير قيامها بالتعاقد مع الكاتب؛ الذى يكون مجبرا على التعاقد ليس فقط لانها دار نشر صف أول، وبالتالى سيجد الكاتب لنفسه مكانة مميزة فى خريطة النشر والمعارض علاوة على البريق الإعلامى وما إلى ذلك، ولكن لان هناك جائزة كبرى من ضمن شروطها غير المعلنة ان يكون الكتاب صادرا على دار نشر ٥ نجوم!.

حقيقة الأمر أزمة النشر الورقى كشفت المسكوت عنه ليس فقط بالنسبة لبعض دور النشر، ولكن أيضا بالنسبة للكتاب؛ فقد أصبح النشر لدى البعض مشاعا؛ فكل من يملك نقودا ينشر دون رقيب، وهذا صدر لنا فى المشهد الثقافى أنصاف مواهب، وهناك كتاب ينشرون لإشباع الموهبة، وهناك من ينشر كنوع من الرفاهية والوجاهة، وهناك من ينشر للتواجد أو للمشاركة فى مسابقة ..إلخ، وفى نهاية الأمر أصبح الكاتب هو الممول.

استمرار العلاقة بهذا الشكل المعكوس ساهم فى استقواء دور النشر؛ بل وقيام بعض الدور بفرض شروطها، والتى وصلت لتحديد الجنس الأدبي؛ فهناك دور نشر ترفض نشر الشعر خاصة شعر العامية، وكذلك الحال بالنسبة للمسرح الذى يعانى من الأساس قلة عدد الكتاب.

ولهذا أكد مؤسس دار نشر المثقف الناشر خالد عدلى على ان المستقبل للنشر الالكترونى مؤكدا على ان المستقبل للكتب بصيغة (اى بوك) وذلك لسهولته، ولمحاربة الغلاء علاوة على سرعة انتشاره فضلا عن عدم وجود حدود للتخزين، وكلها عوامل مشجعة لدور النشر.

وعن التحديات التى تواجه دور النشر أكد "عدلي" على ان قرصنة الكتب تحد رئيسى أمام دور النشر؛ يأتى بعدها غلاء الأسعار ثم مغالاة المكتبات فى الحصول على نسبة من المبيعات، وقد تجاوزت هذه النسب ٤٠٪ و ٥٠ ٪ وعن الحلول طالب "عدلي" بتدخل الدولة فى دعم الورق والطباعة خاصة وان مصر تمتلك فنيين مهرة؛ كما طالب "عدلي" برفع الضرائب والجمارك؛ فضلا عن دعم المعارض.

وبينما أفكر فى كل هذه التحديات محاولا الوصول لحلول تكون خارج الصندوق، وقعت عينى على صورة منتشرة على صفحات الفيس بوك لدار المعارف وبداخلها أجهزة كهربائية. اخذت ابحث بين التعليقات عن السبب ولم تمض سويعات، ونشرت الدار على صفحتها بيانا توضيحيا لما اعتبرته حملة تشويه، وأوضحت الدار فى منشورها الرسمي؛ ان الصورة المتداولة وإن كانت حقيقية، فإن ما تم صياغته فى البوست الخاص به غير حقيقى بالمرة، فلا تقوم دار المعارف بعرض أو بيع أى أجهزة كهربائية أو مستلزمات منزلية إطلاقا، بل إنها أدوات مكتبية شاملة (آلات حاسبة – دباسات – خرامات ورق – مساطر – ماكينات فرم – خزن).

وبعيدا عن معركة دار المعارف لابد من البحث عن حلول بديلة، ومها بدت هذه الحلول صعبة أو غير منطقية؛ لكنها ستصبح قبلة الحياة لجسد يصارع الموت فى ظل أزمة اقتصادية طاحنة طالت الجميع ومنهم العاملين فى هذا المجال؛ مما دفعهم لاتخاذ ردود فعل تناسب طبيعة الأزمة، وهو ما اشار إليه الكاتب عمر قناوي، والذى أكد على ان المدقق اللغوى والمحرر رفعا أجرهما؛ مما ساهم فى ارتفاع تكلفة العملية الإنتاجية، وبالتالى سبب ارتفاعا فى سعر الكتب، مما أثّر سلبا على حركة التوزيع ، والتى زادت بسبب موجة الغلاء لعدم قدرة المواطنين على تلبية احتياجاتهم الأساسية من مأكل وملبس، وبالتالى سيتراجع اهتمامهم باقتناء الكتب واعتبارها سلعة رفاهية أو كمالية. وعن المقترحات قال قناوي: هناك عدة إجراءات للخروج من هذه الأزمة منها أن تقدم الدولة عدد من التسهيلات للناشرين والمكتبات مثل الإعفاء الضريبى لعدد من السنوات مع عدم فرض جمارك على الكتب الواردة من الخارج مع تخفيض الجمارك على الورق الذى يتم استيراده، وأخيرا أرى أن تنظم الجهات المسؤولة والمعنية مثل المجلس الأعلى للثقافة والهيئة العامة للكتاب واتحاد الناشرين مؤتمرا للنقاش حول الأزمات التى تواجه صناعة النشر الورقى وكيفية حلها، على أن تكون القرارات التى سيخرج بها المؤتمر ملزمة.

رغم ان الحلول جيدة وتعطى بارقة أمل، لكنها تبقى حلولا خيالية خاصة فى ظل حالة الانفصال الدائم بين المسؤولين وأصحاب المشكلة، وبالتالى يبقى السؤال مطروحا ما هو مصير النشر الورقي؟ هل سيموت الكتاب؟ هل سيأتى يوما وتختفى الجرائد والمجلات؟ لمن المستقبل للورقى أم للالكتروني؟

يجد الناقد والكاتب شريف صالح صعوبة فى تحديد مصير النشر الورقى خاصة وان الموبايل نفسه سينقرض فى المستقبل البعيد، وستحل محله شريحة تزرع داخل المخ، يرى "صالح" ان الكتاب الورقى سيتراجع ليس فقط بسبب الأزمة الاقتصادية؛ بل لانه لم يعد المصدر الوحيد للمعرفة يقول صالح": قديما كان الكتاب هو الوسيلة الوحيدة والدقيقة والنزيهة للمعرفة، ولكن حاليا الأمر تغير كليا؛ خاصة مع تسارع إيقاع العصر وضيق الوقت؛ فلن يجد البعض رفاهية الجلوس لمدة تتجاوز الأربعة أيام لمطالعة كتاب!. اقاطعه متسائلا: هل شكل تلقى المعرفة سيتغير؟ بمعنى آخر هل القراءة لن تصبح الوسيلة الأنسب لتلقى المعرفة؟ يرد فى بساطة متناهية: نعم فاليوتيوب وجوجل وغيرها من وسائل السوشيال ميديا أصبحت بدائل أسرع للمعرفة؛ خاصة وان طبيعة القارىء الحالى اختلفت بالسلب؛ فقارىء هذا العصر مسكين أمامه مصادر كثيرة للمعرفة، ولكن مع تسارع إيقاع العصر قل اهتمامه بالكتاب والجريدة .. يتابع صالح: اتذكر قديما عندما كنا ننتظر روايات الهلال، وقتها كانت الأسماء رنانة أذكر منها بهاء طاهر، ومحمد البساطى .. يصمت لحظة ويتابع: قديما كانت توجد سلسلة بديعة جدا اسمها مختارات فصول؛ كان ينشر فيها أسماء كبيرة مثل إبراهيم أصلان، وعبد الحكيم قاسم. كنا ننتظر صدور الكتاب كأنه حدث، ولكنى حاليا للأسف الشديد ابتاع الكتب كنوع من الصدقة على الكتاب.

أقاطعه متساءلا: فسر لى إذن تصريحات دور النشر التى تقول ان لديها أرباح ومبيعات؟ يرد فى سرعة: مع احترامى لكل دور النشر لا توجد لدينا مصداقية ومكاشفة وأنا اتحدى أى دار نشر تعلن عن مبيعاتها بشفافية. نحن لدينا ثغرات كثيرة منها عدم حصول الكاتب على أرباحه ان وجدت أرباح أصلا؛ فما بين المماطلة وعدم المكاشفة ورفض تنفيذ بنود العقد يجد الكاتب نفسه فى دوامة مستمرة؛ فلا توجد مصداقية لا فى المكسب ولا فى الخسارة، وبالتالى لا استطيع تصديق أى تصريحات ولا نفيها أيضا.

وعن أزمة الحريات يقول صالح: بالطبع الحريات عامل من ضمن عوامل كثيرة أنا شخصيا لدى رواية حاولت نشرها لكنى وجدت تخوفات من الناشر، ودعنى أناقش الحريات بمفهوم أوسع من المفهوم السياسى المباشر؛ أنا اتحدث بمفهوم ثقافي؛ بمعنى ان الناشر نفسه أصبح رقيبا يختار وينتقى ما يريد نشره؛ فهناك دور نشر قد ترفض رواية قوية عن الريف المصرى وتفضل نشر كتب عن الدجل والشعوذة للدخول فى قائمة البيست سيلر.

انتهى صالح من حديثه وبات من الواضح ان الأمور أعقد مما اتصور ولها أبعاد أكثر مما أظن؛ فكتّاب هذا الجيل يبحثون عن الانتشار وبعض دور النشر تلهث خلف المنتشر أيا ما كانت جودته، وبالتالى من أين يجد القارىء كُتّاب ومفكرين بحجم أبناء الأجيال السابقة، ولو وجد هل سيكون لهم صدى وسط جوقة نشاز تعزف على أوتار افتراضية فى عالم صاخب؟

ذهبت محملا بالأفكار لرئيس تحرير مسرحنا الكاتب محمد الروبى ، فللرجل تجربته يقول الروبي: منذ سنوات بدأ القلق من احتمالية اختفاء النشر المطبوع (جرائد ومجلات) .. وظللنا نقاوم نحن الذين تربينا على ملمس الورق ونسعد بإعادة الصفحات أثناء القراءة مرة ومرات. بل ونحتفظ بالمطبوعة التى تحمل أسماءنا كما لو كانت شهادة تقدير أو وسام شرف .. بدأ القلق مع ظهور الشبكة العنكبوتية وتساءلنا هل حقا سيأتى اليوم الذى ستختفى فيه الورقة وتبقى الشاشة بديلا؟ ومع قلقنا كانت تزداد مقاومتنا المعتمدة فقط على الاعتياد والظن بأن الكتابة هى (ورقة وقلم). لكن مع مرور السنوات وطغيان الشبكة العنكبوتية وجدنا أنفسنا نعتمد عليها فى البحث المساند لكتاباتنا. نبحث عن معلومة أو تاريخ أو صورة ثم نجلس أمام ورقتنا نكتب ونكتب ثم نطبع ما نكتبه على الجهاز الخاص بنا ونرسله إلى المطبوعة الورقية لتنشره. حينها لم ننتبه أن تلك هى البداية فقط؛ بداية تخلينا سعداء عن ملمس الورقة ومن بعده تخلى المطبوعة نفسها عن ورقها. ثم اكتشفنا أن الأمر لا يخص المحرر فقط وتفهمنا بعد حين مع استمرار الغضب أن الأمر يحكمه منطق تؤثر فيه عدة عوامل ، فإذا كنا نحن نكتب على الجهاز الالكترونى فلماذا نستكثر على المطبوعة نفسها الأمر نفسه؛ أن تنشر هى الأخرى على الجهاز نفسه؟ فى البداية غضبنا حين علمنا أن بعض المطبوعات أغلقت مطابعها واكتفت بمواقع إلكترونية بديلة. ثم اعتدنا الأمر خاصة مع ارتفاع أسعار الورق الذى جعل من الطباعة ترفا لا يحتمله إلا الأثرياء من الناشرين. دارت العجلة وظلت بعض المطبوعات تقاوم. لكنها مقاومة النفس الأخير. فالعجلة تسير بسرعة تتناسب مع سرعة الانتشار وقلة التكلفة، وها نحن لا نجد مفرا من الرضوخ. فإما أن نتعنت فى التمسك بأن الكتابة ومن بعدها القراءة حرف مطبوع على ورق. وحينها نهجر المهنة أو بالأحرى تهجرنا هي. وإما أن نرضخ ونتأقلم مع المفروض علينا. والنتيجة كانت وستظل أنه لا اختيار. إذن فلنكتب وليقرأ الناس ولنقرأ معهم على هذه الشاشة. الأمر هنا لا يخص ما نريد لكنه يخص كيف نتعامل مع ما نحن مجبرون عليه.

انتهى "الروبي" من حديثه الواقعي، ووجدت نفسى أفكر معه فى معطيات الواقع؛ فبعد ان تحولت بعض الإصدارات للعمل بشكل الكترونى ماذا عن الأرشيف خاصة بهذه الإصدارات وبغيرها؟ ماذا عن أرشيف بحجم أرشيف مجلة الكواكب؟

يوضح مدير مركز الهلال للتراث الناقد والكاتب أشرف غريب بانه لا يوجد شيء اسمه أرشيف الكواكب يوجد شيء اسمه أرشيف دار الهلال، وكل الإصدارات من المصور والكواكب وحواء وسمير وطبيبك الخاص والكواكب ومجلة الهلال فى النهاية كلها تخدم على أرشيف دار الهلال. يصرح "غريب":هناك مشروع كبير جدا هدفه تحويل كل ورقة فى دار الهلال إلى معادل رقمي، وذلك بالتعاون مع وزارة الاتصالات بتكليف رئاسى وجار العمل لضخ منصة ثقافية موحدة تشمل كل المؤسسات الصحفية والثقافية فى مصر تحت عنوان تراث مصر.

كنت استمع إلى "غريب"، وأنا اتساءل لماذا تركتنا الدولة فى مهب الريح نضرب أخماسا فى أسداس؛ فوقت إعلان توقف مجلة الكواكب تساءل الجميع عن مصير الأرشيف بينما كان للدولة رؤية أعمق؛ فلماذا إذن الصمت؟ لماذا لم يخرج علينا مسؤول يوضح حقيقة الأمر؟ لماذا لم يتم عمل ضجة إعلامية ليعرف القاصى والدانى حجم المجهود الذى ستبذله الدولة حفاظا على تراثها؟ هل الصمت مقصود؟ أين الإعلام من كل هذا؟ تركت أسئلتى ورجعت للتسجيلات الصوتية التى أرسلها لى "غريب" والذى يرى ان سبب أزمات النشر يعود إلى إيقاع العصر وما استتبعه من استسهال؛ فتنوع السويشال خلق قارئا يستسهل الأمور. يتابع غريب: رغم أى شيء يبقى للورق قيمته عند الأجيال القديمة ربما كحنين للماضى وللذكريات؛ ربما لان هناك قراء مازالوا يمارسون عادة القراءة؛ ربما أشياء كثيرة، ولكن فى النهاية تبرز قيمة الورق فى التوثيق؛ فستظل الوثيقة الورقية أهم، والدليل اننا حتى الآن نعود للجرائد وللوثائق .. يتابع "غريب": مشكلة النشر الالكترونى أنه فاقد للدقة ، فتواتر الخطأ يجعله قاعدة وعندما تريد تصويبه تصبح نغمتك نشازا رغم أنك الأصوب؛ ناهيك عن الافتقار للمهنية، ولكن لاشك ان الفن من المشهيات التى تدفع القارىء لاقتناء العدد الورقي؛ فالفن مغرى وهو ما حدث أثناء فترة رئاستى لتحرير الكواكب، وكذلك الحال أثناء وجودى حاليا كمدير لمركز الهلال للتراث فالمحتوى الجيد يحقق مبيعات جيدة.

تجربة آخرى لها تفردها وتنوعها وتميزها؛ بل ولها رؤيتها التى فرضت نفسها لسنوات طويلة انه رئيس تحرير مجلة ميريت الثقافية الكاتب سمير درويش ، فللرجل باع طويل جدا فى الحقل الثقافى الورقى والالكتروني؛ الرسمى والمستقل يرى "درويش" :

ان الكاتب العربى لا يزال لا يشعر أن كتابه صدر، أو أن عمله الإبداعى نشر فى إحدى المجلات، إلا حينما يمسك (جسدًا) فى يده، فى حين أن دور النشر الكبرى حول العالم تضع ثلاثة أسعار للكتاب فى المواقع الشهيرة لتوزيع الكتب مثل أمازون وجود ريدز وغيرهما: سعر للكتاب الورقى بغلاف مقوَّي، وسعر للغلاف العادي، وسعر للنسخة الإلكترونية وقد ابتكروا جهازًا لشرائها وقراءتها، وبالطبع يتم توزيع النسخ الإلكترونية بأضعاف عدد المباع من النسخ الورقية، لأن قراءتها أسهل، حيث يستطيع ضعاف البصر التكبير، ولأنها لا تحتاج إلى أماكن تخزين، ومن ثم إلى تنظيف، غير أن الوصول إليها وإلى أى جزء فى محتواها أيسر بآلاف المرات.

قرأت تعليقًا لأحد (المشتغلين بالكتابة) يقول إن أى شيء إلكترونى لا يعوَّل عليه، لأنه ينمحى بضغطة زر، وهذا دليل كاف على الجهل بالتطور التكنولوجى الذى أصبح يحمى الملفات ببسًاطة بواسطة تخزين آلى يجعل الفرد لا يخاف من ضياع أى شيء، على عكس الكتاب الذى ينفد ولا تجد نسخة منه، وبعض دواوينى الأولى نفدت بالفعل ولا أمتلك نسخًا منها.

الخلاصة أن المستقبل – شئنا أم أبينا– للمنتج الإلكتروني، وما يفصلنا عنه ضَعْفُ معرفتنا بأدواته من ناحية، والحنين (القديم) للورق ورائحته وملمسه.. إلخ من ناحية أخرى، خاصة أن أسعار الورق ومواد الطباعة الأخرى ترتفع بشكل جنوني، إضافة إلى أن جيلى كان يطبع ٣٠٠٠ نسخة من الديوان عادى جدًّا، وتنفد الكمية، والآن لا يوزع أهم الشعراء سوى عدد زهيد لا يتجاوز الصفرين!

دور النشر التى يمكن أن تقول إنها (ناجحة) فى مصر وأنت مرتاح الضمير نوعان: الأول الدور العريقة مثل الشروق والمصرية اللبنانية والكتب خانة، هى تعمل –غالبًا– على الأسماء المعروفة مضمونة التوزيع، والثانى هى الدور الحديثة التى خرجت من جروبات القراءة مثل "دوِّن" و"عصير الكتب"، وهى دور تجارية تنشر القصص والروايات الخفيفة التى تلقى رواجًا بين الشباب.. مع الإشارة إلى أن (النجاح) نسبيٌّ أيضًا هنا، لأن كل تلك الدور تطبع كميات ضئيلة جدًّا، فى حدود ١٠٠ نسخة، ويعاد طبع العمل كلما نفد. وفيما غير ذلك فكلها دور صغيرة تحصل على أموال الكُتَّاب والشعراء، وتعدهم بطبع كميات ولا تطبع إلا ربعها!

بالنسبة للجرائد، فإن بعض الجرائد الراسخة أُغلقت مثل الحياة اللندنية، وجرائد كثيرة فى الغرب والشرق تحولت إلى مطبوع إلكتروني، ببساطة لأن الجريدة لم تعد مصدرًا للخبر، فالخبر ينتشر فى السابعة صباح اليوم مثلًا، والجرائد اليومية تنشره صباح غد، بعد ٢٤ ساعة، بعد أن يكون القارئ استهلكه ونسيه وذهب لما بعده والذى بعدهما. والحل فى رأيى أن تتحول الجرائد من الخبر إلى التقرير الإحصائى والمقال، أى أن تعمل على الخبر بالشرح والمقارنة والتحليل، لا أن تنقل الخبر فقط.

اعتقد نحتاج لصفحات وصفحات لنضع روشتة علاج متكاملة، ولكن تبقى السطور السابقة خطوة مهمة قدمنا من خلالها وصفات علاجية لمشكلة النشر الورقى فى مصر، والتى أصبحت صداعا مزمنا فى رأس مجتمع مبدع بالفطرة يمتلك إرثا حضاريا وثقافيا كبيرا جدا مملوءا بالتنوع يحتاج لتدوين لحظى وتأريخ فوري؛ لذا سيبقى للحديث بقية

تحقيق: مينا ناصف

المشهد
العدد 327 – السنة الحادية عشرة- الأحد 15 يناير 2023م – 22 جمادى الآخر 1444هـ

قالت العرب

ريحي عالية و عزيفي منفرد / حسب الواجد إفراد الواحد له
/ حسب العاشق تلميح المعشوق دلالا / وأنا حسبي أني ولدتني كلِ
نساء الأرض، وأن امرأتي لا تلد / وابنُ ربيعة في منفاه الآتي يبترد،
يسكر من نبع البحر ولكن، مافي الجبة أحد

كالفن ضد كاستيليو: الديكتاتورية ضد الحرية

الحرية غير ممكنة من دون السلطة (وإلا حلت الفوضى) والسلطة غير ممكنة من دون الحرية (وإلا ساد الطغيان)

الديكتاتورية لا تطيق الصرخات ولا تحبذ سوى هتافات التأييد ، بل هى لا تتساهل حتى مع الصرخة الأولى ، وتظهر ردة الفعل فى تكميم الأفواه، يليها استئصال الأفواه وأصحابها. هذا ما أدركه ستيفان زفايغ الروائى والكاتب النمساوى من أصل يهودى ، من خطر وصول الديكتاتورية إلى السلطة ، وأراد أن يطلق صرخة التحذير. لكنه كان يعرف ويلات ذلك ، فكان أن نشر عام ١٩٣٦ كتابه «كاستيليو ضد كالفن، أو ضمير ضد العنف» واختار له حقبة زمنية ترجع أربعة قرون إلى الوراء.

كالفن دكتاتور دينى أوصد باب تأويل الإنجيل وأضحى الحاكم الأوحد محولا المجتمع الديمقراطى إلى ديكتاتورية لا رأى فيها سوى رأيه

أساليب الطغاة للقبض على مفاصل الدولة تتنوع من الوعود البراقة وتبدأ القمع بالكلام ثم بتحريض المجتمع على المعارض وأشد أنواع الديكاتورية تلك التى جاءت مبشرة بغد أفضل

مؤلف الكتاب

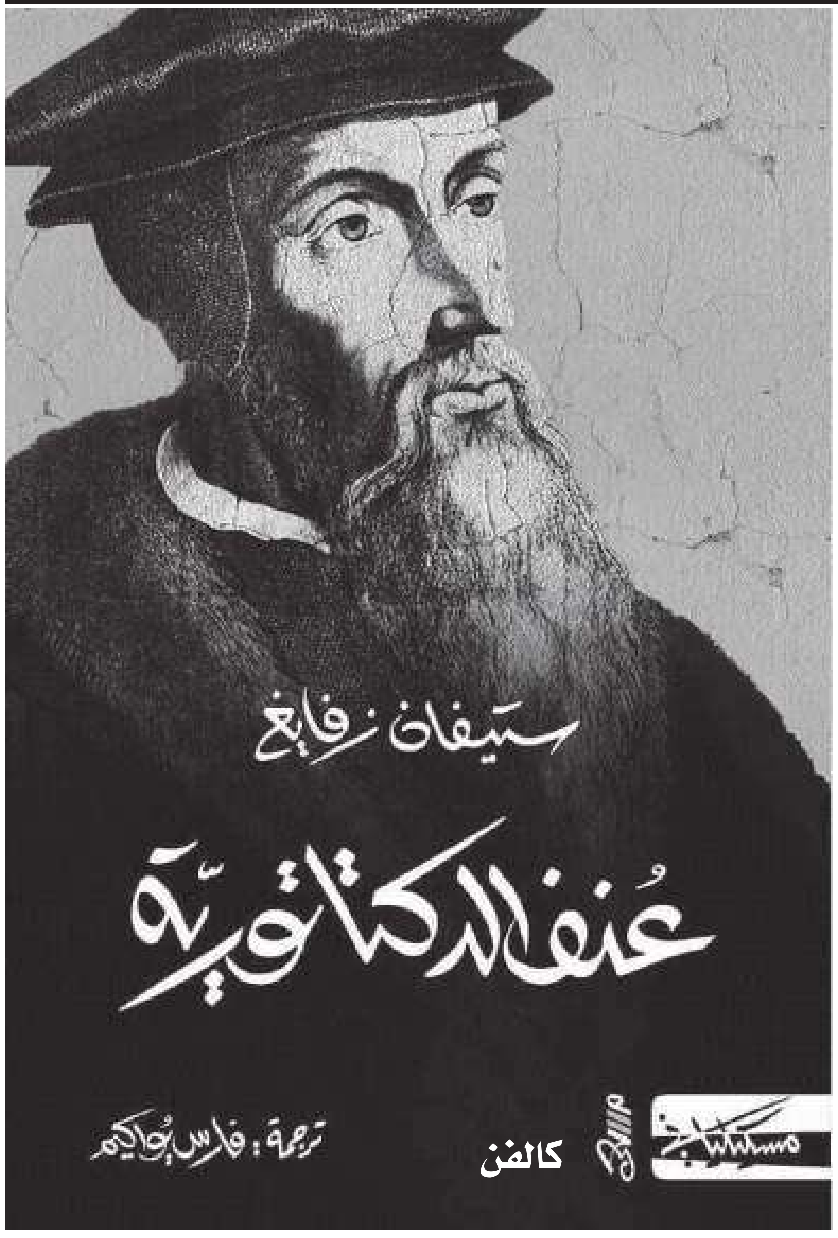

الشخصية

الرئيسية: جان كالفن أحد أعمدة البروتستانتية ، والدكتاتور الدينى الذى أوصد باب تأويل الإنجيل بتأويله ، وعد كل خروج عليه جرما فى حق الله والدولة ، تماما كما يفعل حماة الرب والناطقون باسمه دوما ، حتى فاق إرهابه ما فعلته محاكم التفتيش البابوية. والثانية سباستيان كاستيليو أحد دعاة الإصلاح المسيحيين الأوائل الذين دعوا للتسامح الدينى وحرية الضمير والرأى والفكر.

كتابه هذا ترجمه السيناريست والكاتب اللبنانى فارس يواكيم وعنونه بـ «عنف الديكتاتورية» مؤكدا أن الكتاب من حيث المضمون «وضع الحاضر الخاضع للدكتاتورية على خشبة مسرح التاريخ فى مرحلة ديكتاتورية مشابهة». وأوضح أن جان كالفن جاء إلى جنيف من فرنسا هربا من محاكم التفتيش الكاثوليكية ، هو المنضم حديثا إلى المذهب البروتستانتي. وبدأ حياته المهنية قسيسا فى كاتدرائية سان بيار فى جنيف، وما لبث خلال فترة زمنية قصيرة أن أمسك بزمام الأمور ، وأن أضحى الحاكم الأوحد محولا المجتمع الديمقراطى إلى ديكتاتورية لا رأى فيها سوى رأيه ، وكل الأصوات أصداء لصوته والويل لمن يعترض. وكان كاستيليو من أنصار كالفن. لكنه لم يتحمل الطغيان وقمع الحريات والزيف الكبير..

ويضيف «عندما أمر كالفن بإحراق المعارض ميغيل سيرفيت . فيزيائى وطبيب ومترجم، وعالم دين إسبانى ، تضمنت اهتماماته العديد من العلوم . وأشعلت النيران فى جسده وهو على قيد الحياة، تمزق كاستيليو وبدأت المعركة بينه وبين كالفن. ولم تكن مجرد معركة بين شخصين، بل بين تيارين ومنهجين: بين القمع والحرية ، والعنف والحوار ، بين التعصب والتسامح ، بين الديكتاتورية والديمقراطية. وهذه معاناة ستيفان زفايغ أيضا. إذ بعد نشر كتابه بسنتين ، أدرك أن الديكتاتورية آخذة فى تصفية الخصوم ، وأن جيوشا من المنافقين الانتهازيين يؤيدونها ، فما كان إلا أن هاجر إلى لندن ، ثم إلى البرازيل. وعندما اشتعلت الحرب العالمية الثانية دب اليأس فى نفسه وانتهى به الأمر إلى الانتحار هو وزوجته فى يوم ٢٢ فبراير ١٩٤٢.

يحلل زفايغ فى كتابه الصادر بتعاون مشترك بيندارى مسعى ومسكيليانى تحليلا دقيقا لكل الأساليب التى يلجأ إليها الطغاة للقبض على مفاصل الدولة بكل تفاصيلها ، ثم إحكام السيطرة عليها. وتتنوع الأساليب من الوعود البراقة ، إلى التنصل منها ، وبدء القمع بالكلام ثم بتحريض المجتمع على المعارض وصولا إلى إعدامه ، مؤكدا أن أشد أنواع الديكاتورية عنفا هى تلك التى جاءت مبشرة بغد أفضل.

يقول زفايغ فى كتابه الرائق فى أسلوبه «ومن تراه يكون خصمه . يقصد خصم كالفن . إنه كاستيليو، ذلك المثالى المفرد الذى باسم حرية الفكر الإنسانى أدان ذلك الطغيان وكل طغيان فكرى مشابه؟ إنه حقا . بالمقارنة بالقدرة الهائلة لدى كالفن . البرغشة ضد الفيل! إنه، انطلاقا من حيث التأثير العام ، نكرة، صفرا ، شخصا لا وجود له. وأضف إلى ذلك، إنه مثقف فقير مدقع، يستطيع بمشقة تامة أن يطعم زوجته وأولاده عبر ترجمات يقوم بها ودروس خصوصية فى المنازل ، إنه لاجئ يعيش فى أرض دون إذن إقامة أو حق مواطنة ، ووطأة الهجرة عليه مضاعفة.

ويشير زفايغ إلى أنه فى عصور التعصب العالمى يبقى الإنسان المحتفظ بإنسانيته عاجزا ومنعزلا تماما وسط الفقهاء المتحمسين المتشاجرين فيما بينهم.

ملاحقة وأناس يخشون حريتهم!

لسنوات طويلة قبع ذلك المفكر الإنسانى المتواضع فى ظل الملاحقة وفى ظل الفقر وعاش حياة بائسة ، فى ضيق دائم ، لكن فى حرية دائمة أيضا ، كونه لم يرتبط بحزب ولا تواطأ مع فكر متعصب. إلا أنه خرج من أشغاله تلك، إثر إعدام سيرفيت ، ولبّى نداء ضميره الملح بقوة ، واتهم كالفن باسم حقوق الإنسان المنتهكة. عندئذ بدأت العزلة المفروضة عليه بالنمو لتصبح بطولة. بيد أن كاستيليو على النقيض من خصمه كالفن المعتاد على الحروب ، ليس عنده أتباع فى غاية الشراسة والتنظيم يؤيدونه ويدعمونه ، ولا حزب ولا تقدم له الكنيسة الكاثوليكية أو البروتستانتية أى دعم ، ولا أحد من أصحاب المقامات الرفيعة ، لا ملك ولا قيصر قدم له يد العون مثلما قدموا من قبل إلى لوثر أو إيرازموس. حتى الأصدقاء القليلين المعجبين به، لم يتجاسروا سوى على أن يهمسوا له بالتشجيع سرا. إذ كم يشكل الأمر خطرا ، وعلى الحياة ذاتها ، أن يقف المرء علانية إلى جانب رجل رفع صوته عاليا لصالح المحرومين والمضطهدين ، فى حين شاء جنون العصر آنذاك أن تلاحق السلطة خصومها فى كل البلدان كالطرائد وأن يساموا التعذيب بتهمة المروق. وعبر حادثة سيرفيت رفض فى حينه وإلى الأبد أن يكون للحكام فى هذه الأرض الحق فى ملاحقة أى إنسان فى العالم بسبب عقيدته أو رأيه.

ويرى زفايغ أن كاستيليو وكالفن دليل حسى رفيع المستوى على تناقض خفى ، بيد أنه منيع فى الوقت ذاته. أيا كان المصطلح الذى يود المرء أن يسمّى به قطبى هذا الصراع المستديم: التسامح ضد اللا تسامح ، الحرية ضد الوصاية ، الإنسانية ضد التعصب ، الفردية ضد الآلية ، فكل هذه التسميات تعبر عن قرار شخصى للغاية وفردى بالتمام؛ أيهما الأهم بالنسبة إلى كل فرد: الإنسانى أم السياسى ، الأخلاقى أم المنطقى ، الفردى أم الجماعي.

ويقول «هذه الحدود الفاصلة دائما بين الحرية والسلطة ، لم يبق شعب ما ، وزمان ما ، مفكرون ما فى منأى عنها. ذلك أن الحرية غير ممكنة من دون السلطة (وإلا حلت الفوضى) والسلطة غير ممكنة من دون الحرية (وإلا ساد الطغيان). ومما لا شك فيه أن ميلا غامضان نحو الذوبان الذاتى فى الجماعة يكمن فى أساس الطبيعة البشرية. راسخة لا تمحى، تبقى تلك الأوهام العتيقة بشأن إمكانية العثور على نظام دينى أو قومى أو اجتماعى معين يهب البشر أجمعين السلام والنظام إلى الأبد وبالتساوى بينهم. وقد أثبت المفتش الكبير فى رواية دوستويفسكى بجدلية صارمة أن معظم الناس يخشى ، فى الواقع، حريته الذاتية. وفى الحقيقة بسبب الإعياء الناجم عن تنويعات المشكلة المرهقة، وبالنظر إلى تعقيدات الحياة ومسؤولياتها، تتوق الغالبية الكبرى من البشر إلى برمجة العالم آليا من خلال نظام صالح لكل أوان، يعفيهم من إعمال الفكر».

ويلفت زفايغ إلى أن هذا النزوع المسيانى (انتظار المنقذ) إلى حالة تنزع الإشكاليات من الوجود، يشكل الخميرة الحقيقية التى تمهد الطريق لكل الأنبياء الاجتماعيين والدينيين. ودائما حين تفقد مثاليات جيل ما وهجها وألوانها ، ما إن ينهض رجل ذو موهبة فى الإيحاء ويعلن بطريقة حاسمة أنه ، وأنه وحده ، وجد الصيغة الجديدة أو ابتكرها، حتى تتدفق عليه ثقة الآلاف كما التيار، بوصفه مخلص الشعب ومخلص العالم. ومن القاعدة الثابتة أن كل أيديولوجيا جديدة . وهنا بلا شك يكمن معناها الميتافيزيقى تخلق مثالية جديدة. ذلك أن الذى يهدى البشر وهما جديدا بالوحدة والطهارة، يبدأ فى أن يتخلص منهم القوى الأكثر قداسة: الحماسة وروح التضحية. يبدو الملايين، كما لو أنهم مسحورون، راضخون للانجذاب، للاستثمار، للاغتصاب الفكري، وكلما ألزمهم ذلك الداعية ناثر الوعود بالواجبات تمادوا فى الاستلاب. الحرية، التى كانت حتى الأمس أسمى معانى سعادتهم، يتخلون عنها اليوم بكامل الرضا ويستسلمون للانقياد دون أدنى مقاومة. أما شعار تحطيم العبودية الذى أطلقه تاسيت قديما، فهو يتمثل الآن فى الحماسة التى تولدها نشوة التضامن مع المجموع التى تجعل الشعوب تخضع بمحض إرادتها للعبودية، بل وتمتدح السوط الذى يضربها.

كل ضغط مآله الانفجار

ويوضح أن الذهن عنصر غامض كالهواء، لا يرى ولا يمكن الإمساك به، يبدو طيعا قابلا للتكيف مع الأشكال والصيغ كافة. وهذا يغرى دائما أصحاب الطبائع الاستبدادية فيجعلهم يتوهمون، أن المرء يمكن أن يضغط هذا الذهن ويحبسه ويعبؤه طيعا فى قوارير. بيد أن كل ضغط يولد إلى مادة ناسفة متفجرة. كل ضغط يقود عاجلا أم آجلا إلى الثورة. وعلى المدى الطويل تبقى الاستقلالية الأخلاقية للإنسانية . وفى ذلك كامل العزاء . غير قابل للتدمير. ولم يفلح أحد حتى الآن ، فى أن يجبر البشرية فى عموم الأرض بطريقة ديكتاتورية على تبنى دين واحد أو فلسفة واحدة أو مفهوم كونى واحد ، ولن يفلح غدا أيضا ، إذ أن الذهن سيعرف دائما كيف يقاوم كل تبعية ، وسيرفض دائما أن يفكر وفق صيغ مكتوبة سلفا ، أو أن ينحط أو يهان أو يقزم أو يدجن. وعليه فكل جهد ينشد إخضاع تعددية الوجود، التى هى هبة الله، إلى قاسم مشترك موحد، هومبتذل ومن دون جدوى. مثله مثل تقسيم البشر إلى أسود أو أبيض، خيّر أو شرير، ورع أو مارق، مطيع للدولة أو معاد لها، على أساس مبدأ يفرضه منطق القوة. فى كل العصور نجد نفوسا مستقلة تتمرد على مثل هذا الاغتصاب الممارس ضد الحرية الإنسانية. إنهم «المستنكفون ضميريا» الرافضون بحسم المشاركة فى كل تسخير للضمير. ولا يمكن لأى عصر أيا كانت همجيته، ولا لطغيان أيا كانت منهجيته، إلا أن يجد أفرادا يعرفون كيف يتملصون من القمع الجماعي، وكيف يدافعون عن حق المرء فى قناعة ذاتية تقف ضد العنيفين المهووسين بفكرة أحادية متسلطة، المستميتين فى الدفاع عن حقيقة واحدة، حقيقتهم.

ويؤكد زفايغ أن كاستيليو جعل حياته رهينة الخطر بسبب قناعاته، إذ واجه فقهاء العالم حين أطلق على سيرفيت الذى أعدمه كالفن لقب الضحية البريئة، وحين رمى سفسطات كالفن العنيدة بعبارته الخالدة «إن حرق إنسان لا يعنى إطلاقا الدفاع عن عقيدة، وإنما قتل إنسان»، وحين كتب فى منشور التسامح (قبل لوك وهيوم وفولتير والعديد من أمثالهم بمدة طويلة) مطالبا بحقوق حرية الرأي. لا، لا يحاولن أحد مساواة معارضة كاستيليو ضد حكم الإعدام الذى أودى بحياة ميغيل سيرفيت، بالمعارضات الأشهر ألف مرة لفولتير فى حادثة كالاس أو زولا فى قضية دريفوس. لأن هذه لم تبلغ الرفعة الأخلاقية لتلك. ذلك أن فولتير حين ناضل من أجل كالاس كان يعيش فى عصر متسامح ، أضف إلى ذلك أن الأديب العالمى نعم بحماية الملوك والأمراء. والأمر ذاته بالنسبة إلى زولا الذى سانده كجيش غير مرئى ، إعجاب أوروبا بأسرها، بل والعالم بأسره، والتقدير الذى حظى به، وعلى قدر العون الذى قدماه ، قامر كل منهما بسمعته وراحة باله من أجل مصير إنسان آخر ، لكنهما . والفارق التالى يبقى حاسما . لم يقامرا بحياتهما كما فعل سباستيان كاستيليو الذى فى نضاله من أجل الإنسانية ، عانى الأمرين من اللاإنسانية العنيفة القاتلة التى ميزت عصره.

دفع ثمن البطولة

ويتابع أن كاستيليو دفع ثمن بطولته الأخلاقية كاملا وإلى أقصى حدود طاقته. وإنه لأمر محزن، كيف خلق العنف الوحشى ذلك المنادى بمحو العنف الذى لم يشأ أبدا أن يستخدم أى سلاح سوى العقل. آه كم سيفطن الناس دائما وأبدا، كيف أن كل نضال سيبقى بلا أمل حين يخوضه إنسان بمفرده ضد تنظيم متماسك متين ، من دون سلطة تدعمه سوى الحق الأخلاقي. وإذا نجحت عقيدة ما مرة فى أن تستولى على آلة الدولة ووسائل الضغط التابعة لها ، فهى تطلق الإرهاب من دون تردد ، وتخنق الكلمة فى حلق كل من حاول أن يمس سلطتها المطلقة ، إن لم تخنق حلقه ذاته. كالفن لم يرد أبدا بشكل جدى على كاستيليو بل آثر أن يخرسه. كتبه مزقت، أحرقت، منعت، صودرت. وبابتزاز سياسى على المقاطعات المجاورة منع كاستيليو من الكتابة. وحين أصبح عن الكتابة والتوضيح، انقض زبانية كالفن عليه بحملات القذف. وما لبث الصراع أن انعدم ، وحلت محله التصفية الفكرية الحقيرة ضد أعزل أوحد. ولم يعد كاستيليو قادرا على الكلام ولا الكتابة، وبقيت مؤلفاته خرساء حبيسة الخزائن. بينما امتلك كالفن منبر الكنيسة، المطابع ووسائل النشر، المدارس، المجمع الديني، وكل آلة العنف التابعة للدولة وقد استخدمها دون تحفظ. كل خطوة قام بها كاستيليو خضعت للرقابة، كل كلمة تفوه بها تم التصنت عليها، ورسائله اعترضت قبل أن تصل إليه. فهل من عجب أن مثل هذا التنظيم المتعدد الوسائل والقوى قد انتصر على الرجل الأعزل؟ وحده الموت المبكر أنقذ كاستيليو من النفى أو الحرق.

تقرير - محمد الحمامصي

وجهة نظري

كعب داير أصحاب المعاشات

هالة فؤاد

لايمكن لأحد تخيل حجم المعاناة التي يتكبدها كثير من أصحاب المعاشات للحصول على حقهم إلا من خاض تلك التجربة أو عايشها من خلال أحد المقربين له.

تتعدد التفاصيل وتتباين الروايات وتتنوع الحكايات ، لكنها تعكس جميعها نفس الحال التي يرثى لها والتي حولت حياة كثيرين من مستحقى المعاش إلى جحيم وتعاملت معهم تماما كمذنبين تحت المراقبة ، عليهم إثبات حسن سيرهم وسلوكهم والتردد على أقسام الشرطة للتأكد من براءتهم وخلو سجلاتهم من الجرائم.

رحلة مرهقة يتكبدها مسنون تعترف الدولة رسميا بأنهم أصبحوا خارج الخدمة بحكم سنوات عمرهم التي أفنوها في عملهم ، وحياتهم التي أهدروها أو وهبوها طواعية للإخلاص في عملهم.. يشاركهم تلك الرحلة المضنية غيرهم من الأسر التي اضطرتها ظروفها للتردد على مكاتب التأمينات لصرف معاش عن أب أو أم بعدما تغيرت ظروفهم الاجتماعية بسبب طلاق الإبنة أو عجز الإبن البالغ الحادية والعشرين عن الكسب.

لكل منهم حكاية ووراء كل منهم ظروف صعبة .. معاناة تنطق بها أجساد متعبة مرهقة ووجوه يكسوها الحزن ، وملامح تجاهد لتخفى ألما يعتصر القلوب على فقد عزيز أو خراب بيت وتدمير أسرة وأزمة أرملة أو مطلقة أو مسن ، يغالب كل منهم دمعه أملا في فتات يمكن أن يسد ولو قدرا بسيطا من احتياجات أسر تعانى في زمن صعب.

لا يجيد قراءة تلك الوجوه وتخيل معاناتها إلا من يشاركها تلك الآلام ويشاطرها جزءا من تلك الرحلة .. يفتح كل منهم للآخر قلبه بسهولة ليس فقط للتغلب على ساعات الانتظار الطويلة ، ولكن ليواسى كل منهم الآخر أو يدله بحكم خبرته على طريق ربما يكون غافلا عنه يسهل له مطلبه .. وإن كان الأمر لا يسلم أيضا من شجار محتمل بين الحين والآخر بسبب التنافس على أسبقية الحضور ، بعدما ينفد الصبر وتضيق الصدور ويحل الغضب من ملل الإنتظار ووهن أجساد فاض بها الكيل وفقدت كل قدرتها على المقاومة وتحمل الآلام.

معاناة هؤلاء لا تهم كثيرا وجوها أخرى مختفية وراء مكاتبها ، ربما لا تقل إجهادا عن وجوه أصحاب المعاشات .. ضيق الحال يبدو واضحا على هيئة موظفي التأمينات ، يجاهد أصحاب الضمائر منهم لإخفائها والتعامل برفق مع كل متردد عليهم .. بينما يبدو آخرون أكثر استفزازا ونفورا وعدم اكتراث وتعنت وتفنن في وقف المراكب السائرة والمبالغة في تطبيق لوائح دون أدنى قدر من المرونة أو الرحمة ، بل وتعمد عدم التوضيح لتطيل أمد رحلة العذاب لأقصى وقت ممكن وتنتهي إما بالضغط "لتفتيح المخ ودفع المعلوم" أو بضغط من أصحاب الوساطة ممن لهم الكلمة الأعلى لإجبارهم على تيسيير الأمور وتقديم الخدمة على أكمل وأسرع وجه ووقت.

والحقيقة التي تبدو واضحة لأصحاب ومستحقي المعاشات الذين قضوا سنوات من أعمارهم طلبا لحقوقهم ، التي أتلفتها مكاتب التأمينات ، أن المشكلة ليست فقط في الموظفين ولكن أيضا في الأجهزة العتيقة التي يتعاملون بها. شاشات كومبيوتر عتيقة تحدق عيونهم فيها وتبدو كأنها تفك لوغاريتمات .. تستغرق وقتا طويلا قبل أن تلتقط ورقة بالية تكتب فيها رقما أو وثائق وأوراقا رسمية أو شهادات ميلاد أو وفاة وغيرها تكتبها بسرعة وبخط غير واضح ، ولا تمهلك وقتا للاستفسار ، تضيق سريعا بطلباتك وتحثك بإستفزاز و"قرف واضح" للغروب عن وجهها لتسلم دورك لمبتلى غيرك وقع عليه الدور لمواجهة أصحاب الوجوه العابسة.

الحقيقة أن المشكلة لا تكمن فقط في حال موظفي المعاشات ، لكن المشكلة الأكبر في البيروقراطية التي تحكم تلك المنظومة والتي ينفذ منها كل موظف منعدم الضمير أو تكبل آخر يفتقد الكفاءة أو تجبر ثالثا عن عمد مقصود للتباطؤ ، وكأن هناك تعليمات خفية بتعقيد الأمور والتباطؤ والتلكك لإطالة صرف المستحقات لأطول وقت ممكن ، بعدما ذهبت مستحقات أصحاب المعاشات من خزانة الوزارة المسؤولة عنهم أدراج الرياح. فتكون النتيجة تلك الدوامة المرهقة التي تحول حياة أصحاب المعاشات إلى جحيم ، وربما تنقضى أعمار بعضهم دون الحصول على حقوقهم التي كفلها القانون والتي يتشدق بها الجالسون على مقاعد السلطة والمسؤولون بجميع مناصبهم ومكانتهم ، المغيبون عن المآسى التي تحدث في مكاتب المعاشات وحجم المعاناة التي يتكبدها كثيرون للحصول على فتات ، ربما لا يكفى لتلبية قدر كبير من احتياجتهم ، لكنهم مضطرون على مضض للحصول عليه تحت ضغط الحاجة وشعار أن "النواية تسند الزير".

لكن النوايا تبدو عزيزة وانقطعت المياه عن الزير ولم يشفع للظمأى تعبهم ولم تجد الأجساد الواهنة من يرحم ضعفها .. وتفرض عليهم بتعسف ، الدوران كعب داير لنفس المكتب أكثر من مرة أو من مكتب لآخر كل منهم يلقى عليه بالمسئولية متنصلا منها .. مرة بحجة عدم اكتمال الأوراق أو بطلب غريب يستلزم البحث عن أصل اسم لجد الجدود أو تصحيح خطأ موظف آخر لم يكن لصاحب المعاش أي يد في ارتكابه لهذا الخطأ ، أو بطلب عجيب من جهة العمل ليس له في الواقع أصل أو مستند يثبته أو ضاع بسبب موظف آخر أو رفض ثالث تقديمه بحكم بيروقراطية وروتين لايقل تعنتا عن تلك التي تحكم منظومة المعاشات.

محظوظون فقط من يتثنى لهم الحصول على معاشهم بسهولة ويسر وفى وقت مناسب ، وأعتقد أنهم قلة ، أما التعساء وهم فيما يبدو لي الأغلبية ، فعليهم التحلى بصبر ربما يفوق صبر أيوب نفسه ، لتنتهى رحلة عذابهم إما بالحصول على المعاش بعد جهد تضيع معه أي فرحة إنجاز ، خاصة بعدما يبتلعها غول الغلاء المتربص بجيوب وقوت المصريين بلا رحمة ، أو تنتهى تلك المعاناة بنفاد العمر نفسه ليدخل الورثة اللاحقون في نفس دوامة السابقين ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

المشهد
العدد 327 – السنة الحادية عشرة- الأحد 15 يناير 2023م – 22 جمادى الآخر 1444هـ

قالت العرب

يابن الناسْ، يا كل الناسْ / يابِن امرأة لم تلد الأرضُ، ولم تهوى منَ قوميِ / بدوِيّا ساقَ عصاهُ الجِذلى بالقرّح وبالفَرْح، وبالشكوى / ما أنَّ وشقّ الأرضَ وكان الوالدُ الولدُ / يابن أبيَ عزفك سَحريٌ لاشكَ ولكن عزفكَ منفردُ

مأزق قيس سعيد أم أزمة تونس (6.6) : ملاحظات أولية عن بعد على انتخابات 17 ديسمبر

تحولات المجتمع المدنى التونسى واحتمالات المستقبل: ارتباكات وأخطاء

كان المجتمع المدنى بتونس ويتقدمه اتحاد الشغل. بما له من مكانة تاريخية وسمعة طيبة خارج البلاد مقارنة بمختلف أحوال العالم العربى قد اختبر قبل ٢٥ جويلية ٢٠٢١ وتيقن أن الرئيس «قيس سعيد «بدوره جزء من الأزمة السياسية للبلاد. ومصداق ذلك أن الاتحاد تقدم بأكثر من مبادرة «للحوار الوطني» إلى الرئيس وتجاهلها. أبدا لم يلعب رئيس الجمهورية الدور المنوط به دستوريا كرمز لوحدة الدولة (الفصل ٧٢ من دستور ٢٠١٤)، وهو مالم يتوان سلفه الراحل الرئيس «السبسي» عن القيام به أو يجتهد فى محاولته، نجح أو أخفق.

استفاقة متأخرة ضد انتهاكات جسيمة للحريات والحقوق لم تشهدها عشرية مابعد الثورة

ستة عوامل تفسر ما جرى منذ 25 جويلية 2021 بينها غياب الديمقراطية الداخلية واختلاط الأدوار والبيروقراطية وشبهات الفساد

مواقف قيادة اتحاد الشغل

لكن قيادة اتحاد الشغل مع الانقلاب على المؤسسات واستقلاليتها عن السلطة التنفيذية يتقدمها البرلمان والقضاء وعلى الدستور، وفى ظل تصاعد العدوان على الحريات والحقوق تغاضت وصمتت فى الأغلب، بل واتسمت مواقفها إلى ما قبل أيام من انتخابات ١٧ ديسمبر ٢٠٢٢ بمباركة إجراءات ومسار ٢٥ جويلية. صحيح أن هذه القيادة امتنعت عن المشاركة فى اللجنة «الاستشارية» لوضع دستور الرئيس «قيس سعيد» وعن الدعوة للاقتراع عليه أو مقاطعته.

إلا أنها تنكرت لما اختبرته هذه القيادة بنفسها بشأن أن للرئيس نفسه إسهامه المهم فى الأزمة. بل وانخرطت فى تبنى خطاب المبالغات والافتراءات الذى اعتمده تحالف الرئيس «سعيد»، ومن خلفه بيروقراطية أجهزة الدولة المحتكرة لشرعية ممارسة العنف وأعداء الثورة خارجه وإعلام الثورة المضادة المحلى والإقليمي. وتبنى خطاب قيادة الاتحاد مصطلحات «العشرية السوداء»، ووصم الأحزاب بالمطلق بالفساد والفشل. ناهيك عن هذا، لم تقدم هذه القيادة تفسيرا أو مراجعة لجمهورها وللرأى العام بتونس وخارجه عن مشاركتها هى نفسها فى منعطفات وقرارات وسياسات حاسمة خلال هذه «العشرية»، التى اصبحت عندها أيضا بين عشية وضحاها «سوداء».

بين تفاعل عميد المحامين وصمت مجلسهم

ولم يكن حال التنظيم النقابى للمحامين أفضل حالا، و بما لهم من دور مقدر فى الحياة السياسية لتونس تاريخيا. بل يمكن القول بأن «الهيئة الوطنية للمحامين بتونس» ممثلة فى عميدها «إبراهيم بودربالة» (نقيبها حتى انتخابات مجلس الهيئة سبتمبر ٢٠٢٢) اتخذت المواقف الأكثر انحيازا ومجاراة لمسار ٢٥ جويلية وإلى جانب الرئيس «قيس سعيد»، والأكثر تساهلا تجاه العدوان على الحريات والحقوق والارتداد عما كان بعد الثورة، وحتى بما فى ذلك العدوان على المحامين أنفسهم. صحيح أن أصوات مختلفة متميزة ارتفعت تعترض بين قيادات فروع هيئة المحامين، وبخاصة فرع تونس العاصمة. لكن اتضح أن مجلس هيئة المحامين مؤسسة شبه غائبة وأضعف كثيرا من العميد/ الشخص، والذى بدا وكأنه يحتكر تمثيل عموم المحامين التونسيين فى ظل تعطيل العمل المؤسسى والديمقراطية داخل مجلس الهيئة.

وذهب العميد «بودربالة» بعيدا فى دعم كل محطات مسار ٢٥ جويلية. شارك فى اللجنة «الاستشارية» لوضع دستور رئيس الدولة على أنقاض دستور الثورة / العقد الاجتماعي. وهو الدستور الجديد الذى أسقط مكسب المحامين «بدسترة المحاماة» فى دستور الثورة المعطل ثم الملغي، ومعه ضمانات حصانة المحامى خلال مرافعاته وأعماله أمام المحاكم(×). واستمر داعما مؤيدا للاستفتاء على دستور أسماه الرئيس سعيد «دستور الجمهورية الجديدة». وهذا حتى بعد خروج رئيس هذه اللجنة «الصادق بلعيد» ليعلن أن الرئيس «سعيد» تنكر للنص المقدم من اللجنة، وتقدم بآخر من عندياته وصفه بأنه «خطير ويمهد لنظام دكتاتورى مشين». وواصل عميد المحامين السابق، فشارك فى انتخابات ١٧ ديسمبر، وظفر بمقعد من هذه الجولة الأولى للانتخابات يتردد أنه يرشحه لتولى رئاسة مجلس النواب المقبل.

رابطة حقوق الإنسان ونقابة الصحفيين .. كيف؟

حتى الرابطة التونسية لحقوق الإنسان ترددت قيادتها وتأخرت كثيرا فى مواجهة انقلاب الرئيس «قيس سعيد» وتداعياته ومسار ٢٥ جويلية فى الممارسة وعلى حياة التونسيين، وهى الأقدم والأعرق فى محيطها العربى والأفريقى (تأسست فى عام ١٩٧٦)، والتى تنتشر فروعها فى المدن التونسية خارج العاصمة أيضا، وبما لها من تاريخ نضالى ضد استبداد الرئيسين «بورقيبة» و«بن على» والدولة البوليسية، ومع تبنيها المنظومة الكونية لحقوق الإنسان مبكرا.

ولعل النقابة الوطنية للصحفيين التونسيين وقيادتها الشابة المنتخبة كانت الأكثر استقلالية نسبيا عن خط الرئيس «سعيد» وأجهزة سلطة الدولة مقارنة بمنظمات المجتمع المدنى المشار إليها هنا سابقا. وربما يمكن تفسير هذا بفداحة ما أصاب ومبكرا حرية الصحافة والصحفيين بعد ٢٥ جويلية ٢٠٢١ من اعتداءات وانتكاسات. وهى الاعتداءات والانتكاسات التى ترجمت نفسها سريعا فى انحدار وتدهور ترتيب تونس بعد تحسنها بفعل الثورة وسنوات العشرية اللاحقة عليها وفق دليل / ترتيب حرية الصحافة لمنظمة «مراسلون بلا حدود»، وذلك من المرتبة ١٦٤ بين إجمالى ١٧٨ دولة فى عام ٢٠١٠ إلى ٧٢ من بين ١٨٠ دولة فى عام ٢٠٢٠، ثم ٩٤ بحلول إعلان نتائج هذا الدليل فى يوم حرية الصحافة ٣ مايو ٢٠٢٢.

ويحتاج تقييم مواقف قيادة نقابة الصحفيين التونسيين بعد ٢٥ جويلية ٢٠٢١ لمزيد من النظر والاهتمام، وبخاصة على ضوء اتهامات بتحيزات وتمييز أيديولوجى و سياسى وجراء اتهامات أخرى بـ «العلاقات والميول الشخصية». وهى اتهامات تحتاج إلى دراسة واستجلاء، وإن كنت قد تساءلت عن فرص إطلاق نقاش صريح حول هذه الاتهامات ومسؤولية الصحفيين التونسيين أنفسهم عما لحق بحرية الصحافة ومهنيتها عندهم من تدهور فى مقال بعنوان «هل هو خريف الصحفيين فى تونس؟»، تفضل موقع «نواة» التونسى بنشره بتاريخ أبريل ٢٠٢٢.

مجتمع مدنى انكشفت أزمته

وهكذا .. وقفت كبريات منظمات المجتمع المدنى مع اتحاد الشغل فى أفضل الأحوال داخل مربع المتفرج إزاء تعطيل الدستور وإغلاق البرلمان بدبابة جيش، وتعطيله ثم حله، ومن البداية إزاء العدوان على الدستور وإساءة تفسير الفصل٨٠ (حالة الاستثناء) وصولا إلى إلغائه بالكامل. بل وصمتت على العديد من انتهاكات حقوق الإنسان، بما فى ذلك المحاكمات العسكرية للمدنيين معارضى رئيس الدولة، ومنع الآلاف من السفر بدون حكم قضائي. وفى الأغلب صمتت على الاعتداء على استقلال السلطة القضائية من حل المجلس الأعلى المنتخب للقضاء إلى إقالة ٥٧ قاضيا والتشهير بهم والامتناع عن تنفيذ أحكام القضاء الإدارى بإعادة معظمهم.

ومنحت هذه المنظمات مسار ٢٥ جويلية من الوقت أكثر مما ينبغى، وحتى لو سايرنا خطابها بأن ما يفعله الرئيس «قيس سعيد» هو «حركة تصحيحية» لمسار ما بعد الثورة «ومطلب الشعب». وربما كان لبعض هذه المنظمات اعتباراتها ومبرراتها الوجيهة فيما يتعلق بسلوك حزب حركة«النهضة» ومن شارك فى الحكم قبل هذا التاريخ ومسؤوليتهم عن وصول الأوضاع إلى الأزمة وانعدام الكفاءة فى مواجهة وباء «كورونا». إلا أن المبالغة فى هذه المبررات لتبرير انقلاب على هذا النحو بدا كارثيا، ويستحق المراجعة من قيادات معظم مكونات المجتمع المدني.

وقد كتب الحقوقى التونسى «مسعود الرمضاني» بمقاله المهم «المجتمع المدنى وضرورة المراجعة» بجريدة « المغرب « فى ١٦ سبتمبر ٢٠٢٢ فنبه إلى «ارتباك» وأخطاء، وكذا عن أسباب يمكن تفهمها لهذا الموقف من المجتمع المدني. ولعل ما يعزز الحاجة لمراجعة شجاعة هنا أيضا أن تصل الأمور بالمنظمات الأربع (اتحاد الشغل وعمادة المحامين ورابطة حقوق الإنسان واتحاد الأعراف / أصحاب العمل) أن تسقط فجأة دورها وتاريخها المقدرين من حساباتها وخطابها، وأن تنخرط فى دعاية «العشرية السوداء». وقد استحقت على هذا الدور أن تتوج وتونس بجائزة «نوبل» للسلام لعام ٢٠١٥. وهذا تقديرا لجهودها فى التوسط بين القوى السياسية والحزبية فى عامي١٣ و٢٠١٤، وعلى نحو منع الانزلاق إلى حرب أهلية أو انقلاب يئد الديمقراطية الوليدة.

وبالطبع هناك ما هو أكثر بؤسا فى هذا السياق، ويكفى أن نذكر بالدور السلبى لعميد المحامين السابق «بودربالة» إلى جانب مشروع «سعيد» الاستبدادى فى كل محطاته. وكذا إلى الاستفاقة المتأخرة لرابطة حقوق الإنسان ضد انتهاكات جسيمة للحريات والحقوق لم تشهدها عشرية مابعد الثورة. وهو ما يؤكد ما نبه إليه «الرمضاني» فى مقاله بشأن ما أصاب مفهوم «المواطنة» عند المجتمع المدنى بصرف النظر عن الانتماءات الايديولوجية والفكرية والسياسية للقائمين على قيادة منظماته ولضحايا هذه الانتهاكات. وهذا مقارنة بما كان فى «سنوات الجمر» قبل الثورة.

تمرير الإطاحة بدستور العقد الاجتماعى

تورطت بدورها «الرابطة» الأقدم والأعرق عربيا وإفريقيا وبسمعتها المقدرة ونضالاتها، التى نفتخر بها فى العالم العربى خارج تونس، فى تمرير الإطاحة بدستور الثورة / العقد الاجتماعى وبالكامل وبما ينص عليه من حقوق وحريات ورؤية تقدمية، وفى المشاركة بحوار غير جاد وغير منتج لوضع «دستور الرئيس». ومؤسف أن يأتى قرارها بالمشاركة فى هكذا حوار يوم ٢٢ مايو ٢٠٢٢ بأغلبية ١٣ من أعضاء هيئتها المديرة واعتراض ٣ فقط وتحفظ عضو واحد.

و لم يكن لهذه المنظمات الكبرى فى الأغلب موقف واضح إلى جانب الدعوة إلى مقاطعة استفتاء ٢٥ يوليو ٢٠٢٢ على دستور ظاهر الطغيان أو مواقف حاسمة من الانتقاص من الحقوق والحريات واستقلال القضاء، أو بالنسبة لانتخابات ١٧ ديسمبر على برلمان ليس بالبرلمان، ولا يرقى أبدا لما كان من مجلس تأسيس وبرلمانين بعد الثورة.

مراجعات مطلوبة

ولم نشهد لليوم بوادر مراجعة من قيادة «اتحاد حشاد العظيم» و«أكبر قوة فى البلاد» وغيره من هيئات المجتمع المدنى الحى والمقدر إزاء المسئولية عن التفريط فى دستور الثورة الذى أسهم الاتحاد بدور مقدر فى صياغته، أو بشأن إهدار ما تطورت إليه الحياة النيابية، وعلى الرغم من السلبيات والمشكلات.

وقد أتاحت برلمانات مابعد الثورة، نظريا وفى الممارسة وتحت رقابة منظمات ومؤسسات المجتمع المدنى مثل منظمة «بوصلة» والصحافة والبث المباشر لجلساتها، مناقشة بنود قانون المالية (الميزانية) بالتفصيل وبشفافية، وإسقاط بعضها تحت ضغط مصالح الطبقات الشعبية والمجتمع المدنى والمعارضة السياسية؟. وإن كانت الحصيلة لم تكن على النحو المرجو بحكم اختيارات الناخبين لممثليهم فى البرلمان، والتى لم تكن ناضجة بعد.

وإذا بدأت المراجعات لابد أنها ستتطرق إلى أسباب تحولات المجتمع المدنى بتونس. من بينها نشير إلى ستة عوامل أو أمور فى تفسير ما جرى منذ ٢٥ جويلية ٢٠٢١، وهى جميعا تستحق النقاش بصراحة:

– الأول حقيقة ممارسة الديمقراطية الداخلية فى مؤسسات وهياكل المجتمع المدني. وثمة هنا مؤشرات لافتة إلى جانب ماجرى داخل الهيئة الوطنية للمحامين بتونس. ونشير منها إلى العدوان على مبدأ التداول الديمقراطى للقيادة والمسئولية فى اتحاد الشغل، وذلك على ضوء قرار المؤتمر الاستثنائى للمجلس الوطنى للاتحاد فى سوسة ٨ و٩ يوليو ٢٠٢١ بتعديل الفصل ٢٠ من القانون الأساسى لاتحاد الشغل بما يسمح بتولى أكثر من ولايتين فى عضوية المكتب التنفيذى، وذلك تمهيدا للتمديد لقيادته الحالية لعهدة ثالثة.. وهكذا.

– والثانى الخلط بين الأدوار وتضارب المصالح والمفاهيم والمناهج بين نشاط المجتمع المدنى وبما فى ذلك الحقوقى وبين العمل بالسياسة وتأثير الانتماءات السياسية والحزبية والأيديولوجية. وفى هذا السياق، ثمة مايقال عن نفوذ مجموعات سياسية بعينها لا تكترث كثيرا بالديمقراطية وحقوق الإنسان على قيادة عدد من منظمات المجتمع المدنى الكبرى الوازنة، ومن بينها ما هو محسوب على بعض التيارات العروبية الناصرية واليسارية، ناهيك عن المحسوبين على تراث وعلاقات الاستبداد قبل الثورة.

– الثالث يتعلق بما يتردد ويتسرب. وبالوثائق أحيانا. عن شبهات تورط بعض قيادات هذه المنظمات فى الفساد، ويرتبط بهذا توظيف سلطة إعادة انتاج الدكتاتورية لهذه الشبهات فى التأثير على سياسات ومواقف كبريات منظمات المجتمع المدنى عن طريق آليات متعددة من الابتزاز والتواطؤ بالتغطية على مخالفات هذه القيادات. وهو ما يثير بالطبع مسائل انعدام الشفافية والمحاسبة والرقابة من عموم أعضاء هذه المنظمات على القيادة، وسواء عن سنوات ماقبل الثورة وفى غضونها أو بعدها.

– والرابع هو ما تبدى خلال سنوات مابعد الثورة من حساسية مفرطة عند كبريات منظمات المجتمع المدنى إزاء النقد وبخاصة من خارجها، وإضفاء مبالغات تقترب من القداسة على هذه المنظمة أو تلك وعلى أدائها وقياداتها.

– والخامس يتصل بمؤشرات نشوء وتطور بيروقراطية ضارة داخل قيادة وسلطة القرار فى بعض كبريات منظمات المجتمع المدني.

– أما العامل أو الأمر السادس فيتعلق بما قد يظهر من تأثيرات سلبية لبعض المانحين الأجانب على سياسات وأولويات وقيادات بعض منظمات المجتمع المدنى، وعلى علاقاتها بالنخب والخيارات السياسية فى المجتمع التونسي.

وهذه المراجعة تظل مطلوبة وملحة خصوصا مع تدهور الأوضاع الاقتصادية والمعيشية بعد ٢٥ جويلية ٢٠٢١ على نحو كارثي. وأيضا فى ظل الطريقة غير الديمقراطية لاتخاذ أخطر القرارات الاقتصادية التى تمس معيشة التونسيين، وبما فى ذلك قوانين المالية الجديدة واتفاق الحكومة مع صندوق النقد الدولى المعلن عنه مبدئيا فى منتصف أكتوبر ٢٠٢٢.

فقط بعد العزوف غير المسبوق أمام انتخابات ١٧ ديسمبر ٢٠٢٢ وتزايد الوعى بأن تونس ذاهبة إلى أزمة شاملة مستحكمة وأن الرئيس «قيس سعيد» مستمر فى مأزقه بدأت تظهر بوادر لأن يقود اتحاد الشغل مبادرة «لحوار وطني»، ومع ارتفاع أصوات النقد من داخل الاتحاد إزاء حصاد مسار ٢٥ جويلية. لكن ماهى البدائل فى حالة ما أصر رئيس الدولة على مواقفه السابقة بالرفض؟. هل يملك الاتحاد مثلا المبادرة بالدعوة «لاعتصام رحيل» يشبه هذا الذى دفع الحكومة التى رأسها النهضوى «على العريض» على الاستقالة فى يناير عام ٢٠١٤؟. وهو الاعتصام الذى شارك فيه الاتحاد حتى حقق أهدافه مع لعب دور الوساطة فى الوقت نفسه بين القوى السياسية الحزبية.

احتمالات لواقع يزداد تأزما

لتلخيص المشهد التونسى بعد انتخابات ١٧ ديسمبر ٢٠٢٢ يمكن رسم خطوط عريضة مع عدة احتمالات على النحو التالى :

. أزمة تضرب تونس على كل المستويات سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، وحتى فى علاقاتها مع من دعمها فى مسار الانتقال إلى الديمقراطية، وعلى نحو خاص العديد من الأطراف الأوروبية التى تستمع حكوماتها نسبيا لمجتمعاتها المدنية ولصحافتها الحرة.

. هى أزمة تونس كلها وليس فقط مأزق رئيس منتخب ديمقراطيا انقلب على الديمقراطية ومؤسساتها وهيئاتها المستقلة، وبما فى ذلك استقلالية هيئة الانتخابات التى أشرفت على انتخابه. وهى أزمة تأكد أنها انتقصت من هوامش الحريات والحقوق التى جلبتها الثورة بعد مسيرة عسيرة استمرت بعدها ١٠ سنوات بايجابياتها وسلبياتها ومشكلاتها.

. معارضات سياسية حزبية متنافرة، إن لم نقل متناحرة. ولم يجرؤ أى منها أن يتخذ بعد خطوة حاسمة بفعل شعبى ضاغط مستمر كالاعتصام فى الشارع حتى إنهاء الانقلاب، أو التقدم إلى مربع الدعوة «للعصيان المدني».

. رئيس جمهورية عنده كل السلطات تقريبا. و من الأرجح ألا يتراجع أو حتى يقبل بـ«حوار وطني» لحل الأزمة، تشارك فيه مختلف المكونات السياسية والمجتمعية. وقد وجد لانقلابه على الثورة ودستورها وما حققته نسبيا خلال عشر سنوات من حريات وحقوق حلفا مجتمعيا وسياسيا جاهزا، وأحكم سيطرته على مؤسسات وأجهزة الدولة / القوة التى تحتكر السلاح. وطور علاقة تكامل «وهيمنة متبادلة » مع قيادات بالجيش والأمن الداخلى وأجهزة المخابرات وبيروقراطية جهاز الدولة العليا. وهذا فى ظل مجتمع مدنى غلبت عليه السلبية.

. لكن من غير المستبعد فى ظل تدهور الأوضاع الاقتصادية والمعيشية وكارثيتها تحول تونس سريعا. كغيرها من تجارب الثورة المضادة. إلى اقتراض مجنون من الخارج بلا رقابة جادة فعالة برلمانية أو غير برلمانية. ومن ثم غير مستبعد مع الانتقال إلى دولة الجباية أو «المجبي» بالتعبير التاريخى التونسى أن تبدأ قوى بين حلف ٢٥ جويليةفى مغادرته، و أن تنتقل بشكل حاسم منظمات المجتمع المدنى إلى العمل بإيجابية ضد سياسة وخيارات الرئيس «قيس سعيد» وما تبقى فى حلف ٢٥ جويلية. وألا تكتفى بالدعوة «للحوار الوطني»، بل ربما تنخرط بدورها فى ممارسة الضغط على رئيس الدولة.

. وفى سياق استمرار موقف الرئيس «قيس سعيد» الرافض، ثمة احتمال «لحوار وطني» فى غيبته، وبين كافة القوى السياسية والمجتمعية بدون إقصاء، تقوده كبريات منظمات المجتمع المدني.

. إذا استمرت الأزمة السياسية مع تدهور الأوضاع الاقتصادية والمعيشية وتفاقم تداعياتها على نحو كارثى من غير المستبعد الانتقال إلى ماهو أبعد ووفق خيارات محددة. مثل اللجوء إلى اعتصام رحيل جديد بأفق عصيان مدنى تلعب الطبقة الوسطى فيه دورا مهما، و بقيادة كبريات منظمات المجتمع المدنى (يتقدمهم بالطبع اتحاد الشغل). وهذا نظرا لتضرر معظم هذه الطبقة من التدهور المعشى الشامل والانتكاسة على صعيد الحريات والحقوق ومن طول الأزمة. وهو ما من شأنه إيقاف إجراء الجولة الثانية من الانتخابات التشريعية لـ«برلمان قيس سعيد» وإجباره على التنحى ما يفتح الطريق أمام اجراء انتخابات رئاسية مبكرة وانتخابات بحق لبرلمان جديدة يتمتع بصلاحيات الرقابة على السلطة التنفيذية.

وربما يجرى فى هذا السياق طرح استعادة دستور العقد الاجتماعى بعد الثورة (دستور ٢٠١٤)، ولو مع بعض التعديلات، و بما يعيد للسلطتين التشريعية والقضائية اعتبارهما واستقلاليتهما مع حكومة مسؤولة أمام البرلمان وتتمتع بهامش استقلالية معقول أمام رئاسة الجمهورية. ناهيك عن استعادة استقلالية الهيئات التى أطاح بها ٢٥ جويلية وتداعياته كـ «الهيئة الوقتية للرقابة على القوانين»، أو أضر بمكانتها وسمعتها كهيئات الانتخابات ومكافحة الفساد و«الهايكا» المكلفة بالاتصال السمعى والبصري.

. إذا لم تتحقق أى من احتمالات التغيير السابقة، فإن تونس مرشحة على الأرجح لانفجار كبير للاحتجاجات الاجتماعية فى الفضاء العام ستكون له تداعياته على مكونات الساحة السياسية وسلطة الدولة، بل وقيادات المجتمع المدنى ذاته. وربما لن تسلم من آثاره مؤسسات وأجهزة الدولة التى قام «سعيد» بتوظيفها سياسيا، واستغلت هى بدورها سلطته المطلقة لتتغول تحت رعايتها على حريات المواطنين وتستهين بحقوقهم. وفى سياق هذا الاحتمال وتداعياته (الانفجار الاجتماعى الكبير) يصبح مطروحا التساؤل عن هذا الانفجار الاجتماعى مسالة شرعية قيادة النخب فى الأحزاب المعارضة والمجتمع المدنى للتغيير، ومدى فرص طرحها لبدائل تؤطر احتجاجات الشارع «المنفلتة من سيطرتها» بالدعوة حينئذ ومتأخرا «لاعتصام الرحيل» و«للعصيان المدني» وبعدما استبقه الانفجار الاجتماعى الكبير.

. وهناك أيضا احتمال آخر فى حال تيقن قوى الثورة المضادة إقليميا ودوليا الداعمة للرئيس «قيس سعيد» بأنه أصبح عبئا على حلفائه فى الداخل وتجنبا لثورة جديدة فى الإقليم وفى ظل تصاعد الضغوط الدولية من جانب مانحى المساعدات والقروض على «سعيد» بإحكام طوق العزلة عليه. إذ ليس من المستبعد أن تسهل قوى إقليمية ودولية العودة لخيار «عبير موسى» وحزبها «الدستورى الحر»، أو الإتجاه«لانقلاب قصر « يقوده جنرال من وزارة الداخلية أو الجيش تحت غطاء إنقاذ البلاد من «الفوضى» و«الحرب الأهلية». ويتمنى المرء فى هذه الحالة ألا تصل الأمور إلى استدعاء خبرة تاريخ تونس ذاته فى الإطاحة بزعيم الاستقلال ومؤسس دولته الوطنية الرئيس «الحبيب بورقيبة» يوم ٧ نوفمبر ١٩٨٧، فيما وصف «بانقلاب طبي». إلا أنه فى هذه المرة قد يجرى إثبات عجز رئيس الدولة عن ممارسة مهامه «بكونسولتو» أطباء من تخصصات أخرى.

. إذا رجحت كفة بقاء ضعف المعارضة السياسية والمجتمع المدنى مع مصادرة المجال العام والخوف من تغول «الدولة البوليسية» وعلى نحو يؤجل أيضا «الانفجار الاجتماعى الكبير» ويجعل المكونات الأساسية لحلف ٢٥ جويلية ملتفة حول رئيس الدولة، فمن الأرجح أن يستمر « قيس سعيد» فى مسار ٢٥ جويلية وفى تعميق مأزقة مع إطالة أزمة تونس وتعقدها واستفحالها. وبمرور الوقت، ستواجه البلاد على الأرجح استحقاق انتخابات الرئاسة خريف ٢٠٢٤. إذا بلغته. مع إعادة تقدم «سعيد» لمنصب فى ظل انعدام ثقة غير مسبوق منذ ما بعد الثورة فى نتائج الانتخابات وهيئتها المشرفة عليها.

حكمة حفارى القبور

للأسف يعطى مآل الثورة التونسية والعشرية اللاحقة حجة إضافية للقائلين بأن الشعوب العربية لا تستحق الديمقراطية وليست أهلا لها، وبأن «إسرائيل». هذا المشروع الاستعمارى العنصرى الموروث من القرن التاسع عشر. هى وستظل «الديمقراطية الوحيدة» فى منطقتنا. وهو بدوره قول عنصرى يستدعى ما نقرأه فى كتب تاريخ الإنسان والموسوعات الاستعمارية التى تعود للقرن التاسع عشر.

ولعل قليلا من الأدب المسرحى يصلح لختام هذه المقالات الستة. ففى مشهد «حفار القبور» من مسرحية «شكسبير» يسأل الأمير «هاملت» الرجل المنهمك فى إعداد مقبرة لاستقبال وافد جديد عليها:

. كم من الزمن يمر على الإنسان وهو دفين قبل أن يفسد؟

فيجيبه : والله إذا لم يكن فاسدا قبل ان يموت فإنه يبقى ثمانى أو تسع سنوات. ولدينا هذه الأيام جثث كثيرة تكاد لا تتحمل إنزالها فى التراب.

.. وفى المشهد نفسه، يعود «هاملت» ليسأل صديقه «هوراشيو»، وهما فى المقبرة وقبل أن يعلما بأن هذا القبر يجرى اعداده لدفن حبيبة الأول المنتحرة «أوفيليا»:

. أما لهذا الرجل من احساس بالعمل الذى يقوم به حتى يغنى وهو يحفر قبرا.

■■■

(×) ينص الفصل ١٠٥ من دستور ٢٠١٤ على أن « المحاماة مهنة حرة مستقلة تشارك فى إقامة العدل والدفاع عن الحقوق والحريات. ويتمتع المحامى بالضمانات القانونية التى تكفل حمايته وتمكنه من تأدية مهامه». وعلى هذا النحو جرى «دسترة» المحاماة والمحامين للمرة الأولى فى تونس. ولقد كان فى رأى العديد من منظمات المجتمع المدنى التونسى بما فى ذلك اتحاد الشغل و هيئة المحامين ورابطة حقوق الإنسان ونساء ديمقراطيات أن دستور ٢٠١٤ هو الأكثر تقدميه ومدنية واعترافا بالحقوق والحريات الشخصية والعامة والاجتماعية والسياسية فى تاريخ تونس وفى محيطها العربى والأفريقي. وشهدت السنوات الست التالية تشريع البرلمان عددا من القوانين التقدمية استنادا إلى دستور الثورة، ومن بينها ما هو ضد التمييز العنصرى والإتجار بالبشر والعنف المسلط على المرأة والإرهاب، ومن بينها أيضا ما يعزز الاقتصاد التعاونى ومسئولية الدولة عن تشغيل من طالت بطالتهم والحق فى إتاحة المعلومات وغيرها. والحقيقة وفيما يتعلق بأزمات مؤسسات الحكم، اعتبر العديد من المراقبين والدارسين الأوروبين ممن تناقشت معهم غير مرة أن المشكلة كانت ودائما ليست فى دستور ٢٠١٤ ونصوصه بل فى عدم تنفيذ هذه النصوص. وهذا ماكنت قد تحسبت له مبكرا فى مقال بعنوان «دروس الدستور التونسي» بجريدة «الأهرام» بتاريخ ٣٠ يناير ٢٠١٤، أى عقب أيام معدودة من اقرار المجلس التأسيسى للدستور فى ٢٧ يناير من هذا العام.

بقلم: كارم يحيى

الحلقات كاملة على
www.elmashhad.online

المشهد
العدد 327 – السنة الحادية عشرة- الأحد 15 يناير 2023م – 22 جمادى الآخر 1444هـ

قالت العرب

يابن أبي خذ مني ما كنتُ أداريه زماني / خضتُ به معكرةً للشوك / وكان الألمُ الحنضل يجتهدُ / يا ولدي خذ مني جلباباً فضفاضاً حذرَ الموتِ / وإن كان قميصُك من دُبُرٍ قُدّ توقّ بثوبي / تكفاهُ الصَرَدُ

رفع الفائدة .. سلاح مدمر لايصلح للحالة

التضخم فى مصر ليس ناجما عن زيادة الطلب بل لارتفاع ال

عز الدين حسنين: الهدف جذب الأموال الساخنة لتكون طوق نجاة مؤقت

خالد إسماعيل: ضبابية وعدم استقرار والتضخم لن ينخفض قبل نهاية 2023

ياسر شحاتة: زيادة الإنتاج التصنيعى هو مايخفض معدل التضخم المرتفعة

د. كرم سلام: «النوبة التضخمية» تتوقف على أوضاع أسواق العمل وحرب أوكرانيا

د. ياسر حسين: الوضع صعب ولكنه ليس خطيرا ومصر قادرة على تخطى الأزمة

د. عبد الرحمن شعبان: الحل فى زيادة الانتاج وتوطين الصناعة وتقليل فاتورة الاستيراد

إيهاب شلبي: قرار رفع سعر الفائدة غير فعال فى الوضع الحالى وهناك حلول أخرى

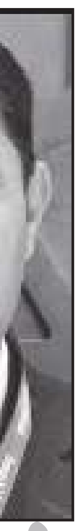

أ... الدولا... معد...

استجابة صندوق النقد الدولى اتخذ البنك المركزى فى الأسابيع الماضية قرارات برفع سعر الفائدة بمعدل ٣٪ وطرحت البنوك شهادات جديدة بعائد ٢٥٪ وتحرك سعر الدولار أمام الجنيه مرة أخرى ليصل الأسبوع الماضى إلى ٣٢ جنيها للدولار قبل أن يتراجع إلى ماتحت ٣٠ جنيها. أدى ذلك إلى ارتفاعات متسارعة وفورية فى السلع والخدمات ، وإضافة ضغوط تضخمية جديدة بدلا من المستهدف منها .. فكيف يرى خبراء الاقتصاد الصورة .. هذا مانعرضه فى هذا التحقيق.

يقول الدكتور عز الدين حسنين الخبير الاقتصادى إن الأسعار ارتفعت مدفوعة بانخفاض الجنيه أمام الدولار بداية من ٢١ مارس ٢٠٢٢ إلى ٢٧ اكتوبر ٢٠٢٢ بمقدار ٥٧٪ ، مما ترك آثارا سلبية على الأسواق المحلية بارتفاع كافة السلع والخدمات ، تزامنا مع نقص المعروض من الدولار بالقطاع المصرفى وتغول السوق الموازية التى فاقت السعر الرسمى لصرف الجنيه امام الدولار بفاصل من ٨ الى ١٠ جنيهات قبل التخفيض الأخير للجنيه.

فارتفع التضخم العام الى ١٨,٧٥٪ والتضخم الأساسى إلى ٢١,٥ ٪ ، مما دفع البنك المركزى خلال عام ٢٠٢٢ الى رفع الفائدة ٤ مرات خلال العام بمقدار ٨٪ مرتفعا من ٨,٢٥ ٪ – ٩,٢٥٪ للايداع ولاقراض لليلة واحدة الى مستوى ١٦,٢٥٪ – ١٧,٢٥٪

ولعل آخر رفع للفائدة فى آخر جلسه للسياسة النقدية لعام ٢٠٢٢ فى ٢٢ ديسمبر بمقدار ٣٪ دفعة واحدة ، فى محاولة لجذب السيولة الزائدة فى الأسواق التى قدرت وفق نشرة البنك المركزى فى أكتوبر بحوالى ٨٠٠ مليار جنيه ، متداولة خارج الجهاز المصرفى وهى أحد الأسباب وليست اهمها ، ولكن الاهم هو محاولة جذب الاموال الساخنة التى خرجت من مصر ومقدارها تقريبا ٢٥ مليار دولار، فالمركزى يحاول هذه المرة الاستعانة بهذه الاموال وجذبها من أجل استقرار الاحتياطى الدولارى والمساعدة السريعة فى إجراء التعويم الكامل للجنيه أمام الدولار وفق الاتفاق مع صندوق النقد الدولى .

فجذب الأموال الساخنة للاستثمار فى أدوات الدين الحكومية ، هو هدف البنك المركزى الآن ، خاصة مع انخفاض الموارد الدولارية من الأنشطة الأساسية مثل السياحة والتصدير وتحويلات العاملين بالخارج والتصدير ، فجذب الأموال الساخنة الآن بمثابة خطة طوارئ سريعة ، إذا نجح البنك المركزى فى استعادتها للسوق المصرية ستكون طوق نجاة مؤقت لتنفيذ التعويم الكامل أو تطبيق سعر الصرف المرن والمساعدة فى تلبية احتياجات المستوردين من الدولار وخروج البضائع المكدسة بالموانئ.

ومع خروج البضائع من الموانى قد تساهم نسبيا فى زيادة المعروض من السلع وبالتالى انخفاض الاسعار تدريجيا .إذا استخدام آلية أو سلاح الفائدة من جانب البنك المركزى المصرى ليس هدفه كبح التضخم فى ذاته ، من خلال جذب السيولة الزائدة بقدر ما هدفه هو جذب الأموال الساخنة

وتوقع عز الدين حسنين أن تستمر الأسعار فى الارتفاع لفتره ٦ شهور على الأقل ، إذا ما نجح المركزى فى جذب الأموال الساخنة واستقر سعر الصرف خلال تلك الفترة ، وفى حال عدم جدوى رفع الفائدة ستستمر السوق السوداء مهيمنة على سعر الصرف وستستمر موجه ارتفاعات الاسعار.

ويشير حسنين أن الدراسات الاقتصادية السابقة أثبتت أن استخدام آلية رفع الفائدة لمكافحة التضخم المتسارع تنجح إذا ما كان التضخم مدفوعا بزيادة السيولة النقدية المتداولة ، ولكنها تفشل فى حال ما إذا كان سبب التضخم هو نقص المعروض من السلع وزيادة سعر صرف الدولار أمام الجنيه ، ففى الحالة المصرية ليس التضخم سببه زيادة السيولة وإنما بسبب انخفاض المعروض من الدولار وانخفاض قيمة الجنيه أمامه مع نقص المعروض من السلع .

لذا يجب البحث عن آليات لزيادة المعروض من السلع وزيادة المعروض من الدولار والأمران يحتاجان زيادة إنتاج من السلع وزياده وتيرة التصنيع من أجل التصدير بعد الاكتفاء الذاتى وزيادة حصيلة السياحة وتحويلات العاملين بالخارج .

ضبابية

أما المستشار خالد اسماعيل عضو الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والاحصاء والتشريع فيقول: لاحظنا ارتفاع معدل التضخم السنوى الأساسى مايقرب من ٦٪ فى ديسمبر ٢٠٢١ حتى وصل إلى ٢١,٥٪ فى نوفمبر ٢٠٢٢ وهذا المعدل تعدى بكثير مستهدفات البنك المركزى والتى كانت تبلغ ٧٪+-٢ نقطة مئوية.

ويوضح أن أسباب التضخم فى مصر تعود إلى زيادة التكلفة بسبب العوامل الخارجية والتضخم المستورد وليس لزيادة الطلب ونحن مع بدايات عام ٢٠٢٣ نجد حالة من الضبابية وعدم الاستقرار ، حيث تشير كل التوقعات الاقتصادية إلى أن العام سيشهد نموا ضعيفا وقد يواجه العالم ركودا فيه ، لأن تكاليف الاقتراض العالية ستؤدى إلى انكماش عدد من الاقتصادات ، فخفض التضخم للمستويات المعقولة يعنى نموا أضعف ، ويرى حسب المعطيات بأن انكسار التضخم بالانخفاض لن يحدث قبل نهاية النصف الثانى من عام ٢٠٢٣ وسيعتمد ذلك بدرجة كبيرة على مدى تراجع حدة التوترات الجيوسياسية العالمية والمتمثلة فى الحرب الروسية الأوكرانية.

يضيف خالد إسماعيل : ارتفاع الأسعار يكون له التأثير المباشر على المواطن البسيط ونتحدث هنا عن أصحاب الدخل المحدود والمتوسط ، ونجد عددا كبيرا من تلك الفئة قد فقدوا ثلث قوتهم الشرائية خلال هذا العام ، وفى هذا الإطار نجد اتخاذ عدة خطوات لكبح التضخم باستخدام السياسة النقدية ، فنجد قرارت البنك المركزى برفع الفائدة منذ بداية العام أربع مرات بنسبة زيادة ٨٪ ، ومن خلال هذا الإجراء يقل الطلب فى الأسواق من خلال إيداع النقود فى البنوك ويقل الطلب على السلع وتقل الأسعار ، من الإجراءات الأخرى برامج الحماية الاجتماعية لمحدودى الدخل ، وهنا نؤكد على تعزيز هذا الدور والوصول لأكبر شريحة منهم ، وحسب توصيات صندوق النقد الدولى ، مطلوب الاستمرار فى منح أولوية لمساعدة الفئات الأكثر ضعفا ، وخلال الشهر الماضى تم إقرار حزمة من بنود الحماية الاجتماعية للمواطنين بقيمة ٦٧ مليار جنيه وهنا نؤكد على أهمية وصولها لمستحقيها.

ويوضح خالد إسماعيل أنه مع رفع البنك المركزى للفائدة قد يكون هناك ارتفاع نسبى لأسعار المنتجات بسبب ارتفاع تكلفة التمويل ويوصى بالعمل على محاور أخرى ، منها العمل على جذب الاستثمارات الأجنبية المباشرة وزيادة الوارد من السياحة والأهم الإنتاج ثم الإنتاج بتشجيع ودعم المنتج المحلى كبدائل للسلع التى يتم استيرادها ، ثم اخيرا أهمية تفعيل ماتم اتخاذه من قرارات لمراقبة الأسعار فى الأسواق ، فنجد قرار إلزام المنافذ التجارية بوضع الأسعار على السلع ووضع سعر عادل للسلع الاستراتيجية من وزارة التموين ، ومواجهة التجار الذين استغلوا تلك الظروف لزيادة الأسعار بصورة مبالغ فيها ، كما يجب على الأجهزة الرقابية التواجد فى الشارع قرب المواطن البسيط للتخفيف من تداعيات تلك الآثار السلبية من كافة الجوانب.

تضخم الأسعار وتضخم التكلفة

يوضح الدكتور ياسر شحاتة الخبير الاقتصادى وأستاذ إدارة الموارد البشرية أن هناك نوعان من التضخم ، الأول هو التضخم الناتج عن الطلب ، فعندما يزداد الطلب على سلعة ما ، فإنه يؤدى إلى رفع الأسعار ، وعادة ما يحدث ذلك عندما يشعر المواطنون بالثقة فى الأوضاع الاقتصادية ، ما يدفعهم إلى المزيد من الإنفاق بدلا من الادخار ، ويبدأ التضخم الناتج عن الطلب بارتفاع فى الطلب الاستهلاكى ، فيحاول التجار الوفاء بالطلب من خلال زيادة المعروض ، وعندما لا تكون هناك سلع إضافية كافية لزيادة المعروض ، يعمد التجار إلى رفع أسعارهم ، مما يؤدى إلى تضخم ناتج عن الطلب، والذى يطلق عليه أيضا «تضخم الأسعار».

أما النوع الثانى – حسب رأى الدكتور شحاتة – هو تضخم التكلفة ، يحدث هذا عندما ترتفع تكلفة إنتاج السلع ، وهذا ما شاهدناه مؤخرا فى شتى أنحاء العالم جراء أزمتى كوفيد–١٩ والحرب فى أوكرانيا والذى كان لهما دور كبير فى عرقلة سلاسل الإمداد، وأصبح من الصعب على الشركات إنتاج السلع وتوصيلها .

ويتوقع الدكتور ياسر شحاتة انحسار التضخم ، خلال النصف الثانى من عام ٢٠٢٣، والوصول إلى المنطقة التى يستهدفها البنك المركزى ، بالإضافة إلى الوصول بمعدل التضخم لمستويات أكثر استقرارًا ، وسوف يكون تراجع معدل التضخم خلال تلك الفترة مدعومًا بتراجع حدة التوترات العالمية ، تماشيا مع توقعات البنوك المركزية على مستوى العالم.

ويضيف: بكل تأكيد رفع أسعار الفائدة من أهم أدوات البنوك المركزية لمكافحة التضخم ، وذلك عبر امتصاص السيولة حيث تتبع غالبية البنوك المركزية السياسة التى يتبعها الفيدرالى الأمريكى ، ولكن ما هو الهدف وراء رفع الفائدة ، بكل تأكيد هو مكافحة التضخم، فضلا عن إسهامه فى تحقيق مؤشرات اقتصادية إيجابية للاقتصاد المصري، وذلك من خلال تراجع التضخم. ويطالب شحاتة بالتركيز على زيادة الإنتاج التصنيعي، والذى يؤدى بدوره إلى الحد من ارتفاع الأسعار ومعدل التضخم.

التضخم ارتفع أكثر فى السابق

يقول د. كرم سلام الخبيرالاقتصادى ومستشار العلاقات الاقتصادية الدولية أن معدل التضخم واصل مساره التصاعدى ليتجاوز ٢٠٪ بنهاية عام ٢٠٢٢فى ظل انخفاض سعر الجنيه أمام الدولار، وهذه ليست المرة الأولى التى يسجل فيها التضخم فى مصر مستويات قياسية، إذ سبق أن وصل لنحو ٣٠٪ خلال عام ٢٠١٧، كما سجل معدل التضخم السنوى فى مصر ٣٣٪ خلال يوليو ٢٠١٨، مقتربًا من أعلى مستوى سجله التضخم وبلغ ٣٥,١٪ فى يونيو عام ١٩٨٦. ومن الملاحظ ارتفاع معدلات التضخم بوتيرة سريعة هى الأعلى منذ ٢٠١٨. ففى أبريل الماضي، أعلن الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء أن معدل التضخم السنوى لإجمالى الجمهورية سجل ١٢،١ فى المئة لشهر مارس ٢٠٢٢ مقابل ٤،٨ ٪ للشهر نفسه من العام السابق ثم فى مطلع مايو ، أعلن الجهاز ارتفاعا جديدا لمعدلات التضخم فى أبريل الماضى لتصل إلى ١٤,٩ فى المئة مقابل ٤,٤ فى المئة لنفس الشهر العام السابق، مسجلا بذلك ارتفاعًا قدره ٣,٧ فى المئة عن شهر مارس ٢٠٢٢، أى خلال شهر واحد، حتى بلغ ١٦,٣٪ خلال أكتوبر ٢٠٢٢ وفى تصاعد مستمر ويتوقع أن يصل لمستويات اعلى خلال العام ٢٠٢٣ .

ويشير د. كرم سلام أن معدلات التضخم هذه جلبت ارتفاعا إجماليا فى أسعار السلع الغذائية الأساسية بنسبة ٢٩,٣ فى المئة. فزادت أسعار الخضروات والفاكهة بنسبة ٦٦,٢ فى المئة والزيوت ٣٦,٦ فى المئة والحبوب والخبز ٢٨,٥ فى المئة، والأسماك ٢٤,٤ فى المئة، واللحوم والدواجن ٢٢,٣ فى المئة. وكانت هذه هى الزيادة الثانية فى أسعار السلع خلال شهر واحد، ففى أبريل ارتفعت أسعار الحبوب والخبز بنسبة ١١ فى المئة، واللحوم والدواجن بنسبة سبعة فى المئة، والألبان والبيض خمسة فى المئة.

ويرجع د. سلام أسباب التضخم وغلاء الأسعار إلى عدة أسباب منها الاختناقات فى سلاسل الإمداد العالمية للسلع الأساسية ، وتحول الطلب العالمى من الخدمات إلى السلع الاستهلاكية ، العامل الثالث هو حزمة التدابير التنشيطية الكلية التى قامت بها الولايات المتحدة والتى أدت لزيادة فى الطلب الكلى العالمى. والرابع وجود صدمة عرض العمالة العالمى ، حيث لا تزال الانقطاعات فى أسواق العمل ونسب المشاركة فى القوة العاملة فى العمل والانتاج دون المستويات المطلوبة. والعامل الخامس يتمثل فى صدمات إمدادات الطاقة والغذاء الناتجة عن الغزو الروسى لأوكرانيا ، الذى أدى إلى ارتفاع أسعار الطاقة والغذاء، مما ساهم فى زيادة معدلات التضخم عالميا ، وقد أدت الانقطاعات الناتجة عن الحرب والعقوبات إلى ارتفاع حاد فى الأسعار العالمية، ولاسيما أسعار المواد الغذائية والسلع الأساسية.

التوقعات المستقبلية

ويرى د. كرم سلام أن «مدة النوبة التضخمية» وغلاء الأسعار الحالية متوقف على عاملين : أولهما التفاعل بين استمرار ضيق الأوضاع فى أسواق العمل واختناقات سلاسل الإمداد واستجابة البنوك المركزية لاحتواء الضغوط التضخمية ، وثانيا مدة الحرب فى أوكرانيا وتداعياتها على أسعار الطاقة والغذاء والنمو العالمي. ومن المتوقع وحسب التجارب التاريخية السابقة، لن تستمر هذه الطفرة التضخمية الخارجة عن السيطرة لأكثر من عامين.

ويوضح سلام أن قرار البنك المركزى المصرى رفع سعر الفائدة للجنيه جزء من الحلول لكن يتعين على الحكومة بعد قرار المركزى أن تقوم بدور كبير فى دعم الفئات الأكثر احتياجا وتعزيز برامج الحماية الاجتماعية لتخفيف العبء عن كاهل المواطن المصرى العادى ، واتخاذ حزمة قرارات تضيف حماية اجتماعية للفئات الأكثر احتياجا لتخفيف الآثار السلبية المتوقعة بعد قرار البنك المركزى المصرى برفع سعر الفائدة.

كما يجب على الحكومة المصرية فى الفترة المقبلة القيام بإجراءات منها :

– أن تتابع لجنة السياسة النقدية التطورات الاقتصادية العالمية والمحلية وتستمر فى استخدام كافة أدواتها النقدية من أجل السيطرة على توقعات التضخم واحتواء الضغوط التضخمية من جانب الطلب والاثار الثانوية لصدمات العرض التى قد تؤدى إلى انحراف التضخم عن المعدلات المستهدفة له.

– دعم الخبز تدريجيا على مدار السنوات المقبلة ، وتعزيز الأمن الطاقوى للاقتصاد المصري.

– صرف مساعدات استثنائية للفئات الأكثر احتياجا ، وقد بلغت المساعدات الاستثنائية لـ٩ ملايين أسرة لمدة ٦ أشهر مقبلة ، بتكلفة إجمالية تصل إلى مليار جنيه (٥٢,٨ مليون دولار شهريا) للأسر الأكثر احتياجا، ومن أصحاب المعاشات الذين يحصلون على معاش شهرى أقل من ٢٥٠٠ جنيه (١٣٢ دولارا)، وكذلك من العاملين بالجهاز الإدارى للدولة الذين يحصلون على راتب أقل من ٢٧٠٠ جنيه (١٤٢,٥ دولار) شهريا .

– تعزيز الأمن الغذائى للأسر الفقيرة والأمهات والأطفال، من خلال التوسع فى طرح كراتين السلع الغذائية المدعمة بنصف التكلفة، وبواقع مليونى كرتون شهريا، على أن يجرى توزيعها من خلال منافذ القوات المسلحة، إلى جانب توزيع وزارة الأوقاف

ترنيمة عشق

نهارك مُدوحَس !!

حورية عبيدة

فجأة وأنا قاعدة فى الباص راجعة من المنصورة للقاهرة سمعت حوارِ تليفونى بين شاب ووالدته بيقول لهاٍ: آلو يا امّا.. خلاص أنا وأبويا بعنا حلق عمّتي.. وكان وزنه ٤ جرام.. وهانرَكّب خلاص خزان المَية فى الدّار.. ولما ربنا يفرجها نبقى نجيب لعمّتى حلق بداله.

انتفض الولد لمّا سمعنا أمّه بتصرّخ وتقول له: "نهارك مُدوحَس".. إنت عارف الدّهب كل يوم سعره بيغلى، يعنى لما نيجى نرجعه لعمّتك ها ندفع تمنه مرتين يا "أهبل يا ابن الهبلة".. رد الولد بغضب: يعنى إيه يا امّا ؟ ما انا تعبت من تحويل المَية كل يوم بالجراكن على العَجلة.. خلاص بقى.. خلاصيا امّا.. ما "تزئيش".. اللى حصل حصل.. خلاااااص.. مع السّلامة.

بَصيت للولد وقلت له عيب يا "اهبل" قصدى يا حبيبى تقول لوالدتك ما " تزئيش"؛ ده أنت وأبوك جبتولها جلطة..(وقعدت أفكر يعنى إيه: نهارك مُدوحَس ؟!).

قلت أغير مزاجى اللى اتعكر؛ ما هو مش معقول أقعد ٣ ساعات مهمومة لغاية ما أوصل القاهرة؛ فتحت الموبايل أبص على الواتساب.. دخلت جروب بنقول على نفسنا فيه إننا "جروب المثقفين" وكلنا من تخصّصات مختلفة؛ فوجئت بخناقة حامية وشتائم بتنط من الموبايل: "إنت إخوانى وعميل.. لأ إنت سيساوى منبطح.. عيب يا جماعة لازم نتفق على رأى واحد.. لا لا إحنا الوطنيين وانتوا الخونة.. إنتوا خربتوا البلد.. لأ إنتوا اللى ضيعتوها.. الأسعار ولعت.. العالَم كله كده.." واستمر الرّدح – فى نهارهم المُدوحَس– وما هديش إلا لما الجروب اتفركش وخرجوا الناس منه.. والموبايل نفسيته كمان هديت وارتاح من كُتر رنّ الرّسايل.

الكآبة مسكتنى أكتر وأكتر..وقلت يا بت ادخلى جروب "الأمهات"وهيّصى مع صحباتك الفُللى وشوفى وصفات الأَكل والبشرة والشّعر ودلعى نفسك شوية مع حبة فضفضة وذم فى الأزواج.. ده مفيش أحلى من كده.. والله السّتات قعدتهم حلوة وكلها فرفشة خصوصًا على الصّبح والرّجالة فى شغلهم.. يعنى نهارهم مش مدوحَس بإذن الله

يا دوب لسة بحط رجلى جوه الجروب لقيت صديقتى بتشتكى إن بقالها يومين بتبكي؛ خير يا حبيبتى ؟ قالت: ابنى وخطيبته بيحبوا بعض من ٧ سنين واتخطبوا من سنتين. طيب وإيه المشكلة ؟ قالت: خلاص قرّروا يفسخوا الخطوبة بسبب الغلاء وارتفاع الأسعار المجنون.. وبالشّكل ده ابنى مش قادر على متطلبات الزّواج.. والبنت والولد بيبكوا وهما بينهوا موضوعهم.. (حوقلنا وبسملنا ودعينلها ولكل أسرة مش عارفة تجوز أولادها).

اتغميت كمان وكمان.. وقرّرت أقفل المويايل (اللى نهاره مُدوحَس هو كمان).. وبصّيت ناحية السّواق لقيته فى عالَم تانى خالص.. الباشا مندمج مع صوت "نجاة" التى أعشقها وِبيغنى كمان معاها.. فكرة والله.. ليه ما اعملش زَيّه وأعيش شوية فى عالَم الرّومانسية وأدِيها طناش زى السّواق؟! واهرب من الغم المتنقى من ساعة ما ركبت الباص المُدوحَس ده ؟! "إنت تقول وتمشي.. وأنا أسهَر ما انمشى يا للى ما بتسهرشى ليلة يا حبيبي.. سهرنى حبيبى حُبك يا حبيبي.. باكتب ع الليالى اسمك يا حبيبي". الله الله يا ست "نجاة" صوتها بينقل الرّوح لحتة تانية خالص.

الجلالة خادتنى بقى وقعدت أغني.. وفتحت ستارة الشّباك.. اكتشفت فعلاً إن الحياة مش مدوحسة كلها ..دى جميلة والشّمس روعة والسّما لونها صافى وقِطع السّحاب عاملين مزيج خطير بين اللونين الأزرق والأبيض.. والله عفارِم على البيه السّواق.. حلو الجو اللى عملته الأغنية؛ وأخدت أبحلق واركز فى الطّبيعة والشّجر الأخضر ومية التّرعة وهى بتلمع بلون الفضّى تحت الشّمس.

فجأة انتبهت –ويا ريتنى فضلت متخدرة بنجاة– لحجارة "تبطين التّرع" اللى وقعت من مكانها جوه المية !! هى لِحقت يا ناس ؟! دى معمولة من كم يوم بس.. اتخضيت وركّزت أكتر لقيت على بعد حوالى نص كيلو والعُمال بيبطنوا جزء جديد !!.. (سألتنى نَفسى الأمارة بالسّوء: إمتى التّبطين ده هايقع زى اللى قابله ؟ أكيد العيب فى سعد.. أيوة سعد زغلول مش هو اللى قال مفيش فايدة ؟! نهارك مُدوحَس يا سعد إنت كمان).

يعنى يا ربّى صوت "نجاة"ما عملش حاجة؛ وخرجت من مُود الرّومانسية مع إنهم بيقولوا إن الفن أفيون الشّعوب لتخديرها وللتحكم فى الوعى الجمعي.. طب ليه الأفيون ما عملش حاجةوطار من دماغى بسرعة كدهمع إنى تركت له وعيى تحت أمره يعمل فيه اللى هو عاوزه بالهنا والشّفا.. ليه رجعت أفكر فى الهموم تاني؟!

بصيت فى السّاعة وحمدت ربنا إننا قربنا ندخل القاهرة.. قررت اتصل ببنتي: ألو حبيبتي.. إزيك وحشتيني.. جايبلة لك معايا سمك مشوى من المنصورة يستاهل بؤك.. ياللا يا حلوة جهزى السّلطة على ما اجيلك.. إيه ؟! بتقولى إيه ؟! ما بتحبيش إيه ؟!.. ما بتِحبيش السمك ؟! إنت عارفة الكيلو بقى بكام ؟! الكيلو بـ ٩٠ جنيه غير تَمن الشّوي.. هاتكليه يعنى ها تكليه غصب عنك وإلا نهارك ها يبقى مُدوحَس.. (بس حد يقولى يعنى إيه مُدوحَس ؟).

قالت العرب

الملكُ القادم يا ولدي قاس / لا يعرف للرحمة دربا / والسجن القادم يا
ولدي سجنٌ أبديُ الصنعة / مصنوعٌ من أقفاصٍ صفراءَ عليها دمك الطاهر
يتقدُ / حمرته تصبغَ بطنَ الأرضِ / وباطنُها حبلى بالظلم الأحمرْ

...ة المصرية
...لتكلفة

...يمن الزيات: زياده التدفقات ...رية والاستثمار المباشر ورفع ...لات الإنتاج أهم الحلول

حازم عواد: يقلل من معدلات النمو الاقتصادى ويؤثر بالسلب على الدخول ويرفع البطالة

بالشراكة مع وزارة التضامن الاجتماعى لحوم الأضاحى على مدار العام.

– التدرج فى زيادة أسعار الكهرباء حتى نهاية العام الحالى لمدة ٦ أشهر، مع العلم أن "تكلفة التأجيل التى ستتحملها الموازنة العامة للدولة لمدة ٦ أشهر تصل لـ١٠ مليارات جنيه (٥٢٨ مليون دولار) حتى تتحمل الدولة العبء الأكبر من الزيادات للتخفيف عن المواطن المصري.

– ضرورة توفر الحصيلة الدولارية الكافية لدى البنك المركزى للتحكم فى حركة سعر الدولار فيما يعرف فنياً بعمليات السوق المفتوحة (Open Market Operations).

– ضرورة اتخاذ خطوات واضحة وجادة بشأن جذب الاستثمارات الاجنبية والسياحة والتصنيع والتشغيل والتصدير ، وذلك بعد ازالة معوقات الاستثمار.

– تقديم شبكات حماية اجتماعية كافية للطبقات ذوى الاحتياجات ، والفقيرة لمواجهة التضخم وغلاء الأسعار .

– استمرار الدولة فى إجراءات الإصلاحات الهيكلية لتجاوز الصدمات الاقتصادية الكلية ، وضرورة التنسيق بين السياسات المالية والنقدية وارتكازها على الأطر المتوسطة الأجل فى المرحلة الراهنة للتحرير الكامل للجنيه المصري.

– ضرورة اتجاه الدولة المصرية لتعظيم الصناعة الوطنية ودعم المستثمرين وزيادة حد الإعفاء الضريبى لبعض المشروعات الجديدة الصناعية، وتوجه الدولة نحو الاكتفاء الذاتى من السلع الاستراتيجية والمزروعات وزيادة حجم الصادرات ، حيث سيرفع ذلك من قيمة الجنيه ويزيد العملة الصعبة ، وبالتالى لن يرتفع سعر الدولار بنسبة كبيرة.

– ضرورة الاستفادة من انخفاض قيمة العملة المحلية ، واستخدامها فى تنشيط السياحة العالمية لمصر ، حيث أن هناك عددا من الدول استفادت من انخفاض قيمة عملتها ، لأنه يجعلها تنشط فى جوانب أخرى مثل لبنان ، فقد ادى انخفاض عملتها إلى زيادة حركة السياحة ونشاط الرحلات الوافدة اليها، وكذلك الصين.

– ضرورة أن تعطى البنوك أولوية فى فتح الاعتمادات المستندية للسلع الأساسية المختلفة، ثم السلع الأخرى الترفيهية، وذلك بهدف ترشيد استخدام الدولار، وكذلك حسب حجم المعروض من النقد الأجنبى لدى كل بنك.

– ضرورة زيادة المصادر الدولارية لمصر، يأتى على رأسها تحويلات العاملين بالخارج، وإيرادات قناة السويس، والصادرات.

– ضرورة زيادة المصدر الأساسى المستدام لتوافر العملة الأجنبية وهو الإنتاج، فالفترة الراهنة تعد فرصة كبيرة لزيادة الصادرات وتحقيق الاكتفاء الذاتى وتقليل الاستيراد.

– ضرورة الحد من استيراد السلع الترفيهية والكمالية والاكتفاء باستيراد السلع الضرورية والأساسية فقط .

– ضرورة تقبل ذلك الأمر من قبل الشعب، حيث أن النسبة المتوقعة لارتفاع سعر الدولار أو انخفاضه ليست كبيرة وتكون فى الحدود الضيقة، وأن هناك توقع بارتفاع متوسط سعر الدولار خلال الفترة المقبلة، لكنه لا ينظر إليه على أنه "قفزة كبرى"، بل ضمن التحركات العادية للعرض والطلب.

–إصدار شهادات الايداع التى تقدمها بنوك القطاع العام والتى تهدف لتقليل السيولة فى السوق لمواجهة أرتفاع الأسعار وموجة الغلاء ، وتشجيع الادخار بالعملة المحلية، بالإضافة إلى تعويض المدخرين عن الارتفاع المتوقع فى التضخم.

–على الشركات المنتجة للمواد الغذائية طرح منتجات جديدة بسعر يستوعب زيادة تكلفة الإنتاج وبما يمكن هذه الشركات من الحفاظ على حصصها السوقية الحالية وامتصاص زيادة التكلفة الإجمالية للمنتج .

–تفعيل وتشديد دور الدولة فى الرقابة الداخلية على الأسواق المالية وأسعار السلع وفرض أشد العقوبات على التجار الجشعين .

– زيادة الدعم وفرض الضوابط السعرية من جانب الدولة لكبح الآثار التضخمية الناجمة عن ارتفاع القيمة الدولارية مقابل الجنية المصري.

– تعزيز وتفعيل الدولة لشبكات الأمان الاجتماعى مثل مشروع "تكافل وكرامة" لحماية الأسر الفقيرة وتوفير التحويلات الموجهة لهم فى إطار من الشفافية .

– على الأسر خفض أوجه الإنفاق غير الضرورية والاكتفاء بالمتطلبات الأساسية فى الوقت الراهن للأزمات العالمية .

سيناريوهات

يقول الدكتور ياسر حسين الخبير الاقتصادى والمالى والمحاضر بالجامعات الخاصة والدولية إن سيناريوهات متوقعة تلوح فى افق الاقتصاد المصرى ، حيث يتوقع ان يترتب على قرارات رفع الفائدة تاثيرات متوقعة على مختلف جوانب الاقتصاد المصرى بشكل عام وعلى الاسعار وعلى الموازنة العامة وعلى الايداع والاقتراض وعلى الذهب وعلى العملات الصعبة وأهمها الدولار الاميركى وعلى البورصة المصرية وعلى اسعار المنتجات وعلى المواطن المصرى .

فقرار رفع الفائدة يستهدف احتواء الضغوط التضخمية فى السوق المصرى ومحاوله الوصول إلى استقرار الأسعار من أجل واقع أفضل للمواطن المصرى الذى يعانى من ارتفاع الأسعار المتتالى والمتوالى فى كافة السلع على مدار عام ٢٠٢٢ .

ويرى أن تأثير القرار على الأسعار فى السوق يفترض أن يؤدى إلى كبح جماح التضخم وفرملة قفزات أسعار السلع، والسيطرة على ارتفاع الاسعار الذى طال مختلف السلع، ومنها السلع الهامة الاستراتيجية مما يشكل أزمة فى السوق ومعاناة للمواطن المصرى .

أما تأثير القرار على الموازنة العامة للدولة فسيكون سلبيا، لأن رفع الفائدة سيؤدى الى الضغط على الموازنة وزيادة الاعباء عليها وزيادة حجم الدين العام . فى حين يؤثر القرار إيجابيا على الايداع والمودعين، ويحافظ على أموال المودعين بالبنوك من التضخم ، وجذب شرائح مودعين آخرين .

بينما رفع الفائدة على الاقتراض والمقترضين سيكون سلبيا، حيث ترتفع تكلفه الاقتراض لإقامة المشروعات ويعانى أصحاب المشروعات وكذلك أصحاب أنشطة بيع السلع بالتقسيط مثل الأجهزة الكهربائية والأثاث وجهاز العرائس وأنشطه ومعارض بيع السيارات .

ويتوقع الدكتور ياسر حسين أن يؤدى قرار رفع الفائدة على العملات الصعبة واهمها الدولار الاميركى إلى انفراجة دولارية بعض الشيء، حيث ستزيد التحويلات إلى مصر بالدولار الأميركى وتحويله إلى شهادات بنكية بالجنيه المصرى للحصول على عائد الشهادات المصرية، وسيكون ذلك التوجه أيضا هو توجه حائزى الدولار داخل مصر ، كما يؤدى الى محاولة تجفيف السوق السوداء للعملة الصعبة وتوفير الدولار لحل إشكالية استيراد المواد الخام ومنتجات التشغيل وقطع الغيار المستوردة وتكدسات البضائع بالموانى المصرية حاليا، والدولار بعدما تجاوز ٣٠ جنيها ، سيهبط تدريجيا مع تخطى مصر أزمتها الدولارية .

كما يفترض أن يؤدى رفع الفائدة إلى تقليل للفجوة بين سعر الذهب داخل مصر وخارجها، والوصول إلى سعر قريب من السعر العالمي، وذلك يعنى هبوطا فى أسعار الذهب محليا. وتأثيره السلبى على البورصة سيكون طفيفا وذلك فى ظل النجاحات التى تحققها منذ تغيير إداره البنك المركزي، وفى ظل الشهية المفتوحة لمستثمريها حاليا، الا ان إصدار الشهادات الجديدة سيؤثر بالسلب.

ويتوقع الدكتور ياسر حسين ارتفاعات طفيفة للسلع والخدمات فى الربع الأول من عام ٢٠٢٣، ومع دخول البضائع الواردة التى كانت مكدسة فى الموانى المصرية ستستقر الأسواق والاسعار وتبدأ فى الهبوط مع دخول الاستثمارات الدولارية الكبيرة الى مصر التى تم الاتفاق عليها فى مؤتمر المناخ السابق ، وهى استثمارات الطاقة النظيفة والمشروعات الخضراء، فى منتصف عام ٢٠٢٣ .

وبالنسبة لأحوال المواطن المصري، يتوقع أن تخف معاناته من الارتفاعات المتوالية للأسعار نتيجة دوران عجلة الإنتاج والصناعة، وزياده العرض عن الطلب، كما ستنخفض الاسعار اكثر فى مصر مع الوفرة الدولارية الناتجة عن دخول الاستثمارات الكبيرة الدولارية وعن موسم السياحة الشتوى والمتوقع ان يحقق نجاحا كبيرا فى ظل ازمة طاقة اوروبا خلال الربع الاول من عام ٢٠٢٣ .

ويرى ياسر حسين أن أهم الحلول الواجبة للتخفيف عن المواطن بعد حل مشكلة دخول البضائع الواردة والمكدسة فى الموانى المصرية: – الاهتمام بالترويج السياحى المكثف بقدر المستطاع للموسم الشتوى للسائح الاوربى والغربى فى الربع الأول واستمرار الترويج السياحى لموسم الربيع والصيف للسياحة العربية فى الربع الثاني. – تقديم حوافز استثمارية للمغتربين المصريين بالخارج تكون واضحة ومنطقيه وجاذبة لاستثماراتهم بالعملة الصعبة إلى مصر . – تأجيل بعض المشروعات العقارية التى ليست لها أولوية فى المسيرة الاقتصادية حاليا، لحين انتهاء ازمة الفجوة الدولارية المصرية . – توجيه الجزء الأكبر من مبادرة حياة كريمة نحو هدف توسيع قاعدة المشروعات متناهية الصغر والصغيرة والمتوسطة، لإنعاش الاقتصاد المصرى فى المدن ولتنشيط وعودة الريف المصرى المنتج، بما له من اهمية فى تلبية الطلب المحلى والحد من الاستيراد والعمل على تخفيض الاسعار لمختلف السلع. – أن تبذل الدبلوماسية المصرية جهدا أكبر فى حل أزمة ليبيا والعمل على استقرارها، وكذلك استقرار العراق وتنميته وإعماره وبذلك سوف تتجه الملايين من العمال والموظفين لإعمار الدولتين الشقيقتين، بما يعود على مصر النفع عبر تشغيل وتوظيف ملايين من المصريين، وجلب عملات صعبة مترتبة على سفر العمالة، وحياه أفضل لأسرهم وعائلاتهم فى مصر .

واختتم الدكتور ياسر حسين حديثه بالقول «إن الوضع صعب ولكن ليس خطيرا، فمصر تخطت ثورتى يناير ويونيو، كما تخطت أزمة عودة العمالة من العراق وليبيا، كما تخطت أزمة كورونا ، وصمدت أمام أزمة روسيا مع أوكرانيا»، ويضيف: مصر التى تخطت كل تلك الأزمات والمصاعب قادرة على تخطى أزمة الفجوة الدولارية الحالية والانطلاق نحو غد أفضل لمصر إن شاء الله .

عبء الحصول على الضروريات

يقول الدكتور عبد الرحمن شعبان الخبير الاقتصادي: لا شك أن ارتفاع الأسعار بشكل كبير اصبح الشغل الشاغل لكل مواطن مصرى فى الفترة الحالية ، وخاصة بعد ارتفاع التضخم بصورة كبيرة تجاوزت ال ٢٠٪ وأصبح الحصول على السلع الضرورية عبئا كبيرا على الأسر ، نتيجة تداعيات الأزمات العالمية و جشع بعض التجار فى استغلال الأزمات ورفع الأسعار بطريقة مبالغ فيها طمعا فى تحقيق مكاسب كبيرة.

وتشير التوقعات فى ٢٠٢٣ مع مزيد من الرقابة على الأسواق وسحب السيولة النقدية من السوق، إلى حدوث انخفاض للطلب على السلع، وأهم الحلول التى يمكن طرحها تتمثل فى زيادة الانتاج وتوطين الصناعة والعمل على تقليل الفاتورة الاستيرادية وهذا سوف يترتب عليه انخفاض فى سعر الدولار وتحسن كبير فى الأسعار.

أما إيهاب شلبى محلل أسواق المال فيشير إلى معاناة المصريين من تداعيات تعويم الجنيه وتراجع قيمته أمام الدولار والعملات الدولية، وشح الدولار فى السوق المصرية، وارتفاع فاتورة الواردات الأساسية. وانعكست كلها سلبيا على القدرة الشرائية للمصريين. وخسرت فئات عريضة من الشعب المصرى أكثر من ثلث قوتها الشرائية خلال أقل من سنة. ولولا محاولات الدعم الحكومى المتواصل للسلع الأساسية وتحسين مستوى الأجور لكان الوضع الاجتماعى أكثر سوءا، فالتضخم قد يبدأ فى الهبوط خلال النصف التانى من ٢٠٢٣ ، كما أنه مدفوع بزيادة التكلفة وليس زيادة الطلب. أما قيام البنك المركزى برفع سعر الفائدة فهو غير فعال فى الوضع الحالى لأن ارتفاع الأسعار ليس بسبب زيادة معدلات الشراء ولكن لارتفاع تكلفه الإنتاج وأزمة سلاسل التوريد

وأهم الحلول فى الوقت الحالى – من وجهة نظر إيهاب شلبى – تخفيض تكاليف الإنتاج، وعمل توازن بين الاستهلاك والإنتاج، من خلال ترشيد الاستهلاك وزيادة الإنتاجية، عبر إعادة تشغيل المصانع المتوقفة، حيث أن أكبر مكون للتضخم فى مصر خاص بالسلع الغذائية والتى نستورد معظمها، فإعادة إنتاج هذه السلع وتصنيعها «محليا» يساعد على خفض التضخم.

ومن الحلول السريعة تحسين سلاسل التوريد بحيث تكون قادرة على تلبية متطلبات السوق وتفعيل دور الرقابة القانونية والمتمثلة فى جهاز حماية المستهلك

ويؤكد أن ارتفاع أسعار العديد من السلع سببه احتكار السلع، خاصة السلع الاستهلاكية، والتى يعتمد عليها المواطن بشكل أساسى فى حياته اليومية، واقتصار إنتاج وبيع هذه السلع على مجموعة محددة من التجار تستهدف تحقيق الربح فقط، مما يؤدى لارتفاعها وهو ما يتسبب فى ارتفاع التضخم كنتيجة طبيعية لذلك

ويقول الخبير الاقتصادى أيمن الزيات أن هناك أزمة اقتصادية طاحنة مابين ارتفاع معدلات التضخم وتراجع أسعار العملة وارتفاع أسعار الفائدة، وكلها عوامل سلبية .. وأضاف: نحن مقبلون على أوقات عصيبة ،خاصه مع تحرير سعر الصرف مقابل الدولار الذى يؤدى إلى زيادة فى أسعار السلع والخدمات ، وبقاء الأجور دون زيادة تتناسب مع ارتفاع التضخم وارتفاع الأسعار، ويضيف: لابد أن تتجه الحكومة إلى العمل على زياده التدفقات النقدية الدولارية والاستثمار المباشر وترشيد استهلاكها ورفع معدلات الإنتاج ، والعمل على تقليل الاستيراد.

ويوضح الدكتور حازم عواد الخبير الاقتصادى وعضو الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى أن التضخم فى مصر يرجع الى العوامل الحقيقية التى تتعلق بجانب العرض وتزايد التكاليف، ومعظم هذه العوامل وافدة من الخارج، بفعل تزايد فاتورة استيراد الواردات المصرية من الخارج من سلع غذائية ومستلزمات إنتاج وسلع رأسمالية، وبفعل التراجع فى قيمة الجنيه المصري، وبالتالى لا يمكن أن يؤثر رفع سعر الفائدة على هذه العوامل.

كما أوضح أن رفع أسعار الفائدة يزيد الحافز نحو التوجه للجنيه المصري، لأن الكثير من المستحوذين على الدولار، سيتنازلون عن مخزونهم من الدولار، للحصول على الشهادات بالجنيه، مما يؤدى الى استقرارسعر صرفه أمام الدولار. كما أن قرار رفع سعر الفائدة يؤدى الى زيادة تحويلات المصريين بالخارج، والحد من ظاهرة هروب الأموال قصيرة الأجل والتدفق العكسى للأموال الساخنة بفعل رفع أسعار الفائدة فى الدول الأخرى. ومن المتوقع أن ينعكس رفع أسعار الفائدة على مودعى الأموال فى البنوك بشكل إيجابي، حيث من المفترض أن تتجه البنوك إلى زيادة الفائدة التى يحصل عليها هؤلاء المودعين، بشرط أن تستقر قيمة الجنيه المصرى فى مواجهة الدولار

ويوضح حازم عواد أن قرار رفع أسعار الفائدة يضيف أعباء جديدة على الموازنة العامة للدولة، حيث ترتفع فوائد القروض وخدمة الدين ، كما يؤثر سلبا على البورصة، فمن المتوقع انخفاض قيمة الأصول المالية ومن ثم انخفاض قيم مؤشرات البورصة، ويترتب أيضا على قرار رفع أسعار الفائدة على الاقراض زيادة تكلفة التمويل التى تتحملها المشروعات الاستثمارية، الأمر الذى يقلل من فرص تنفيذ المشروعات الاستثمارية لزيادة التكاليف وانخفاض معدلات العائد المتوقعة على الاستثمار، الأمر الذى يقلل من معدلات النمو الاقتصادى ويؤثر ايضا بالسلب على مستوى الدخول وارتفاع معدل البطالة.

تحقيق - آمال عبدالله

شراكة بين المصرف المتحد ودار الأورمان في ٥ مشروعات قومية بالصعيد

تحت رعاية الرئيس عبد الفتاح السيسى – رئيس الجمهورية، انعقد المؤتمر السنوى للتنمية المستدامة – النسخة الثالثة، تحت شعار شراكات قطاع الأعمال: نحو حلول مستدامة اكثر كفاءة.

القت كلمة الافتتاح الدكتورة نيفين القباج – وزيرة التضامن الاجتماعى – نيابة عن رئيس الجمهورية بحضور الدكتور محمد معيط – وزير المالية والسيد القصير – وزير الزراعة واستصلاح الأراضى والسفيرة سها الجندى – وزيرة الدولة للهجرة وشئون المصريين بالخارج والمستشار مصطفى الهمم – محافظ الاقصر ولميس نجم – مستشار محافظ البنك المركزى المصرى لشئون التنمية المستدامة. فضلا عن نخبة من رجال الاقتصاد والاتصالات وتكنولوجيا المعلومات وعدد من المؤسسات.

وعلى هامش المؤتمر الذى استمر لثلاث ايام متصلة، اعلن المصرف المتحد ومؤسسة الاورمان عن ٥ مشروعات تنموية مشتركة بمحافظات الصعيد وهي:

اولا : – مستشفى شفاء الأورمان بالأقصر : فى ٢٠١٧ الماضى شارك المصرف المتحد مؤسسة الاورمان فى مراحل تاسيس المستشفي، عندما قام المصرف المتحد بشراء جهاز غسيل كلوى بوحدة الرعاية الحرجة الجراحية لصالح المستشفى، منذ ذلك الحين تنامت شراكة المصرف المتحد لمؤسسة الاورمان، وشملت الدعم العلاجى ل ٤٤٠ الف حالة ممثلة فى علاج كيماوى ، اشعاعي، وعمليات. فضلا عن الدعم المادى للمرضى القادمين من محافظات اخرى ممثل فى مسيرة العلاج والضيافة بالاقصر.

وتعد مستشفى شفاء الأورمان بالأقصر واحدة من أكبر وأوئل المستشفى المتخصصة فى علاج امراض السرطان بصعيد مصر وبالمجان. تخدم المستشفى عددا كبيرا من المرضى والمصابين من ٦ محافظات (الأقصر ، أسوان ، الوادى الجديد ، البحر الأحمر ، قنا ، سوهاج) على مستوى صعيد مصر. بتعداد حوالى ١٥ مليون نسمة وعدد حالات سرطانية بلغت حوالى ١٥٠٠٠ حالة سنويا.

ثانيا :قرية خورشيد – مركز اهناسيا – محافظة بنى سويف: فى اطار المشروع القومى لحياة كريمة، قام المصرف المتحد وبالتعاون مع مؤسسة الاورمان باعمار قرية خورشيد بمركز اهناسيا بمحافظة بنى سويف. شمل الاعمار انشاء ٥٤ منزلا وتوصيل ٢١ مرفق مياه و٥٠ مرفق كهرباء. فضلا عن توزيع ٥٠ من رؤوس الماشية على الاهالى من سكان القرية. بالاضافة الى تقديم الدعم المالى الشهري، بدل تغذية لكل رأس ماشية. هذا فضلا عن تم توزيع ٥ أكشاك متضمنة البضاعة والثلاجات بالمجان على المستفيدين من اهالى القرية.

هذا وقد تم اختيار هذه الحالات من قبل المصرف المتحد ومؤسسة الاورمان وبالتعاون مع مديرية الشئون الاجتماعية بناء على بحث اجتماعى دقيق للحالات المستفيدة، وبيان مدى احتياجاتهم وظروفهم المعيشية الصعبة. فضلا عن التنسيق الكامل مع جهاز الطب البيطرى لعمل إجراءات التأمين على رؤوس الماشية وتقديم الإرشادات البيطرية للمستفيدين لضمان نجاح المشروع.

ثالثا : حملة صكوك الأضاحى: أطلق المصرف المتحد بالتعاون مع دار الاورمان حملة تسويق صكوك الأضحية بمناسبة عيد الاضحى المبارك. و ذلك لإتاحة فرصة أكبر للإستفادة من لحوم الأضاحى وتوزيعها على المستحقين فى جميع محافظات مصر.

رابعا : حملة مصر الدفيانة : شارك المصرف المتحد، مؤسسة الاورمان فى الحملة التى اطلقتها عام ٢٠١٦ لتغطى قرى الصعيد تحت مسمى مصر الدفيانة. حيث تم توزيع ١٠٠٠ بطانية تضامنا مع اهالى الصعيد المتضريين فى جراء السيول التى تتعرض لها البلاد.

خامسا : حملة ستر و دفا : استكمالا للجهود المشتركة لدعم الاسر غير القادرة، قام المصرف المتحد باستكمال التعاون مع مؤسسة دار الاورمان، بهدف تخفيف حدة أثار برد الشتاء على الأسر والأطفال والمسنين. وذلك عن طريق فتح حساب لتلقى الدعم المادى لشراء البطاطين. هذا وقد شارك فى هذه الحملة فريق عمل المصرف المتحد وعدد كبير من عملاء المصرف المتحد من خلال ٦٨ فرعا منتشرة بجميع انحاء الجمهورية.

كما قام المصرف المتحد بالتسهيل على عملائه طرق التبرع وتقديم اوجة الدعم والمساندة المجتمعية باطلاق مجموعة من الحلول الرقمية تحت مسمى "بنكك على الخط" منها: الموبيل البنكى والانترنت البنكى ومحفظة UB الذكية فضلا عن اكثر من ٢٢٥ ماكينة صراف آلى منتشرة على مستوى الجمهورية. تعمل هذه الحلول الرقمية على مدار الساعة ٧ ايام فى الاسبوع بمعايير الخدمة العالمية .

وتعقيبا على هذا الشراكة التنموية والمشروعات الوطنية بين المصرف المتحد ومؤسسة الاورمان، يقول اشرف القاضى – رئيس المصرف المتحد – ان العمل التنموى يعتبر ملحمة وطنية بكل المقاييس. فالشراكة المتنامية بين مؤسسات الدولة والمؤسسات الاقتصادية ومؤسسات المجتمع المدنى تعتبر ملحمة وطنية لتكافل المصريين لدعم القرى الاشد احتياجا وجموع المهمشين نحو حياة كريمة.

وقال القاضى أن الرئيس عبد الفتاح السيسى اطلق العام الماضى ٢٠٢٢، عام المجتمع المدنى ومع بدايات هذا العام ٢٠٢٣ شهد مراسم اطلاق التحالف الوطنى للعمل الاهلي. وهذا تاكيد على الدور الكبير الذى تقوم به منظمات المجتمع المدنى من اجل مساندة الدولة المصرية فى طريق التنمية المستدامة وتحقيق العدالة الاجتماعية. وحرص الدولة باجهزتها المختلفة على التنسيق الكامل مع مؤسسات المجتمع المدنية لمد قاعدة الشمول الخدمى والتنموى لجميع انحاء الجمهورية بما فى ذلك المناطق المهمشة، ليضمن وصول الخدمة بجودة الى المستحقين سواء دعما ماديا او خدميا من صحة وتعليم وفرص عمل.

من جانبه، أكد المهندس حسام القبانى – رئيس مجلس إدارة جمعية الاورمان – أن الجمعية تعتز وتقدر الذى يقوم به المصرف المتحد فى تنفيذ مسئوليته المجتمعية وتحقيق أهداف التنمية المستدامة وخطة مصر ٢٠٣٠، مشيرا الى ان المصرف المتحد يهتم بالمشاركة فى مختلف الأنشطه التى تقدمها الجمعية للفئات الأكثر استحقاقا و أن هناك خطط مستقبلية تم مناقشتها مع المصرف المتحد لاستمرار التعاون لسنوات مقبلة باذن الله لتعظيم العائد على المستفيدين من دعم المصرف المتحد للأنشطة التى تقدمها جمعية الاورمان.

وجمعية الأورمان هى مؤسسة غير هادفة للربح تعمل على خدمة المجتمع المصرى منذ ثلاثين عاما بالتعاون مع المؤسسات و الأفراد لخدمة الفئات الأكثر احتياجا فى كافة محافظات الجمهورية وتستهدف جمعية الأورمان أثناء قيامها بالعمل التنموى تحقيق ١٢ هدفا من أهداف التنمية المستدامة و التى تتسق مع رؤية مصر ٢٠٣٠ وذلك من خلال عدة محاور رئيسية :

الصحة : من خلال مستشفيات شفاء الأورمان للكبار والأطفال لعلاج مرضى السرطان فى الصعيد بالمجان – إجراء عمليات قلب و عيون للفئات الأولى بالرعاية – تقديم الأجهزة التعويضية والأطراف الصناعية لذوى الاحتياجات الخاصة .

تنمية المجتمع :من خلال إعادة الأعمار للمنازل الغير أمنة ، توصيل مياة نظيفة لهذه المنازل و توفير فرص عمل و مشاريع صغيرة لغير القادرين و المرأة المعيلة .

رعاية الأيتام: من خلال إدارة ٥ دور لرعاية الأيتام و ذوى الاحتياجات الخاصة و تنظيم يوم اليتيم أول جمعة من إبريل.

المساعدات الموسمية : من خلال توزيع كراتين مواد غذائية فى رمضان و لحوم الأضاحى طوال العام للقضاء على الجوع و توزيع البطاطين و تعريش الأسقف ضمن حملة ستر ودفا لحماية الأسر من برد الشتاء.

تقرير – هالة سعيد

مدينتي الفاضلة

نجوى فى التوحيد والنور

منى ثابت

نجوى الحفناوى صديقتى المدهشة، روحها احتفظت بملامحها منذ التقينا بكلية الاعلام، هذا الأمس الحى المُغذى .. وهذا فى حد ذاته إدهاش ورجاء وفرح عظيم.. لا زالت تشاغب لتسلخ أى متغابى أو فتاى يتحذلق دون تردد أو تأجيل، تجلده بخفة ظل وسعة اطلاع، فتلجم أكبر تخين وتدفع ضرائبها بفخر.. يمرض صوتها لو اضطرت لقمع أو تأجيل رأيها.. نجوى عملت فى القاهرة سنوات قليلة بعد تخرجنا، تنقلت من الأخبار للجمهورية ثم انسحبت من صحافة أواخر السبعينات، رغم زخمها بالأستاذة وبالمهنية.. فازت بها الأمم المتحدة مترجمة مثقفة احترافية أمينة، لوثائق ومعاهدات دولية تنشد السلام وتنحاز للإنسانية.. تترجم من الفرنسية والانجليزية إلى العربية، وتعيش أحداثا عالمية حية، ومؤتمرات دبلوماسية بذات الدأب والحيوية، وكأن كل مثيقة مغامرة..

وظلت مصر نابضة فى وجدانها.

اكتسبت نجوى ذكاء التقاط التفاصيل، ومتعة النبش لاستنباط الحقيقة، بتعشيق سياسات الدول، وعقليات رؤساؤها مع شبكة المصالح.. حتى أضحت صاحبة كرامات سياسية.

فى مهمة خاطفة بالقاهرة، احتاجت نجوى لشنطة سفر، نصحها ناصح بالتوحيد والنور، سلسلة المحلات الشهيرة بوفرة البضائع وانخفاض الأسعار.. دخلت بحيويتها وفضولها تتفحص المكان والبضائع، وتمارس هواية التواصل الانسانى والمجتمعى مع الباعة!! لم يفاجئها عدم التجاوب، لكنها لاحظت تلصص أكبرهم لحية عليها، يتمتم منقبضا هامسا بفحيح يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، وعيون تفضحه!! ولم يرتفع صوته إلا بكلمات « لثلاث تخرج المرأة»، وينخفض جبنا!! اقتربت نجوى منه متسائلة بصوت واضح ودود، وماهى الثلاث التى تخرج فيها المرأة؟ لم يجب!! كررت سؤالها ثلاثا، فتجاهلها مشمأنطا مذعورا!! لتحاصره بسؤال « وماهو حكم المرأة المعيلة التى تخرج للعمل للانفاق على زوج عاطل؟ » صمت عن التلاوة، مختبأ فى ظل لحيته على المكتب، ولاح شبح ابتسامات شماته من زملائه الباعة.. خرجت نجوى ثائرة من تردى الفكر والسلوك، لكنها اشترت الحقيبة بعد التأنى فى الفحص والاختيار.

هذه واقعة عدوانية وتحرش وتنمر علنى صريح من بائع ضد زبونة!! واقعة متكررة تتجاهلها غالبية المصريات يأسا من اصلاح، وخضوعا لوضع فرض نفسه بمختلف وسائل الترهيب، وتجنبا لتطاول فج يتنامى لأن الجهل أطفأ بصيص ضوء العقول، وشحنها سلبية واتكالية.. الموقف جدد مخاوف، هل سبب التعدى عليها أنها سافرة (متبرجة) داخل محل سلفي!! أم لتصور الملتحى أنها مسيحية، أو مسلمة منفلته، فلعنها بما تجهل لتحقيرها بحديث يفرض أن «تخرج المرأة للرجل أو لدفنها، ولشرط ثالث فشلت أنا وصديقتى هالة المحجبة فى التوصل لمعرفته.. لكنها شاركتنى دهشتى من ازدواجية مالك سلسلة محلات التوحيد والنور الذى يمنع توظيف السيدات، لكى يبيع لهن الرجال ملابسهن الداخلية!! هذه الواقعة هى إحدى ثمرات تأجيل تطوير التعليم العام، وغزو تعليم دينى متطرف.. مبادرات تضامن شيخ الأزهر مع الكنيسة لنشر التسامح وقبول الآخر محمودة، ولا ينقصها إلا جرأة توحيد مناهج المدارس المصرية كلها، وتمشيطها من التمييز، توازيا مع دعم إعلامى نابه.. سألت نجوى لماذا لم تقدم بلاغا بالتحرش، واحتفظ بإجابتها.. لكن أطالب المجلس القومى للمرأة بنوبة صحيان .

المشهد
العدد 327 – السنة الحادية عشرة- الأحد 15 يناير 2023م – 22 جمادى الآخر 1444هـ

قالت العرب

الزمن الأحمر يا ولدي / وعجاف البقر الأبيض يا بن أبي يأكل كل
حقول الأرض / فكل الكون على عزف الزمن الأحمر يحتضر / يابن أبي
هذا غيض من فيض / سيفنى الناس / ويفنى الوسواس الخناس ولكن
مافي الجبة أحد

رواد التنوير فى الفكر المصرى الحديث (15):

عسكريون ومهندسون تقدميون فى مواجهة رجعية الخديوى عباس

مصطفى بهجت بطل إتمام القناطر الخيرية المشروع الهندسى الأضخم فى العالم وقتها مع محمد مظهر

محمد مظهر باشا

رفاعة الطهطاوى

الخديوى عباس الأول

«محمد بيومي» تم نفيه وتكليفه بوظيفة مدرس ابتدائية فى السودان وهو كبير علماء الرياضيات فى مصر

محمد مظهر قدمه «أوجست كونت» إلى «جون ستيوارت ميل» بالقول: «إنه كان من أنجب طلبتى وأكثرهم شغفا بالتعلم»

فى كتابه «مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية» يكتب رفاعة الطهطاوى (١٨٠١- ١٨٧٣م) تحت عنوان «فى تعريف المنافع العمومية بالمعنى العرفى الصناعي» قائلا: «أعلم أن ما عبرنا عنه بالمنافع العمومية يقال له فى اللغة الفرنسية «أندوستريا»، يعنى التقدم فى البراعة والمهارة، ويعرف بأنه: فن به يستولى الإنسان على المادة الأولية التى خلقها الله تعالى لأجله، مما لا يمكن أن ينتفع بها على صورتها الأولية، فيجهزها بهيئات جديدة يستدعيها الانتفاع وتدعو إليها الحاجة، كتشغيل (مشغولات) الصوف والقطن للباس الإنسان، وكبيعهما. فهذا المعنى يقابل «الأندوستريا»، وتكون عبارة عن تقديم التجارة والصناعة، فيقال: الملك الفلانى يشوق الزراعة و«الأندوستريا»، أى التجارة والصناعة، يعنى يسعى فى تقديم المنافع العمومية».

لم يكن اهتمام الطهطاوى إلى هذا الحد بالتدقيق فى اصطلاح «الأندوستريا» أو التصنيع نابعا من إحاطته بأهمية الصناعة فى زيادة دخل الوطن وتنمية ثرواته فحسب، بل إنه كان ينظر إلى التقنية (التكنولوجيا) الصناعية باعتبارها سبيل الأمم إلى إدراك التقدم (التمدن). وهو ما يفيض به كتابه – معنى ومصطلحا – عندما يتناول بالتحليل مسائل العمل الحديث ورأس المال، ودور الدولة فى الإنتاج، والعلاقة بين القطاع الانتاجى والخدمي.

كان للطهطاوى سبق الكتابة فى قيمة العمل الانتاجى بمعناه الحديث لأول مرة فى العربية فى تعريفه للعمل «الذى هو القوة الأولية»، وفى تقسيمه لقوة العمل: «تقسم أرباب الإدارات وتدابير العمل إلى قسمين لا ثالث لهما: منتج للمال وغير منتج له، لأن العمل لا يخلو من شيئين: إما أن تزيد قيمة مورده بالربح فهو المنتج، وإما ألا تنشأ عنه ثروة تربيح مالى تنسب إليه فهو غير المنتج، وهذا يرجع إلى الاستغلال وعدمه بالعمل، وكما يقال للعمل منتج أوغير منتج يقال للعامل كذلك، فالعمال صنفان: مكتسبة ومرتزقة»

يعنى ذلك بتعبيرنا اليوم تفرقة بين العامل المنتج أو التقنى الصناعى أو الزراعي، والعامل الخدمى والإداري، ويضيف الطهطاوى للتعريف بالعامل المنتج قوله: «إن العامل الصناعى أو الزراعى تزيد بعمله قيمة البضائع المصنوعة التى هى مورد عمله، فله مدخل عظيم فى تربيح صاحب الملك، فهذا العامل منتج للكسب والاستغلال بخلاف عمل الخادم عند السيد، فإنه ليس فيه فى حد ذاته للسيد ربح ولا مكسب مالي».

الطهطاوى رائدا اشتراكيا

المتأمل فى عبارات الطهطاوى السابقة يتلمس فيها – بالطبع – أثر الاصطلاح النظرى الاقتصادى الأوروبى الحديث بمعايير زمنه، ولا يعد هذا الأمر غريبا بالنسبة لدارس متبحر فى معارف القرن التاسع عشر الأوروبية كالطهطاوي. لكن الباحثين يذهبون لأبعد من ذلك فى استقصاء تأثر الطهطاوى بمقولات الاقتصاد الحديث فى زمنه، إذ يرصدون فى كتاباته آثار النظريات الاشتراكية التى طرحها سان سيمون (١٧٦٠ – ١٨٥٢م).

سيمون فيلسوف ومفكر اشتراكى فرنسى بنى تصوره للسلام العالمى وللفكرة الإنسانية الكونية على أسس التقدم العلمى والصناعي، وتطبيق المباديء العلمية، ووضع تصورات حول مشروعات تربط أجزاء العالم بشبكات اتصالية قوامها خطوط السكك الحديدية والقنوات المائية. ومن هنا كان أحد الدعاة المتحمسين لحفر قناة تربط بين البحرين الأبيض والأحمر فى مصر (قناة السويس لاحقا). كان "سيمون" يعتقد أن أمر تحقيق السلام الدائم بين البشر ميسورا إذا اتصلت الثقافات وتقاربت، وحققت المجتمعات البشرية تطورها على أسس العلم والأخلاق والدين، لتشكل فى مجموعها مجتمعا صناعيا عالميا دعا لتأسيسه.

تلك الأفكار التى طرحها "الطهطاوي" فى كتابه "مناهج الألباب" وذكرنا أمثلة منها، تمثل المقولات الأساسية فى نظريات سان سيمون الاشتراكية، بما فى ذلك تقسيمه للعمّال بين منتجين وغير منتجين، فالعمل المنتج – عند الطهطاوى كما هو عند سان سيمون – هو العمل الذى يؤدى إلى زيادة قيمة المنتج عن قيمته قبل إضافة قيمة العمل إليه. العمل بذلك هو القيمة المضافة إلى رأس المال ويتحقق من خلاله الربح كما تتحقق به القيمة.

ورغم أن "الطهطاوي" لا يذكر اسم الفيلسوف الفرنسى ولا يشير إليه فى كتابه مرة واحدة، لكنه يذهب إلى تأصيل أفكاره الاشتراكية من تراث القرآن والحديث النبوي، فيدافع عن حق العامل ضد طغيان المالك ونظام الملكية بقوله: "ثم إنّ المقتطف لثمار هذه التحسينات الزراعية، المجتنى لفوائد هذه الإصلاحات الفلاحية، الناتجة فى الغالب عن العمل واستعمال القوى الآلية، والمحتكر لمحصولاتها الإيرادية، إنما هو طائفة الملاك، فهم من دون أهل الحرفة الزراعية هم متمتعون بأعظم مزية، فأرباب الأراضى والمزارع هم المغتنمون لنتائجها العمومية، والمتحصلون على فوائدها، حتى لا يكاد يكون لغيرهم شيء من محصولاتها له وقع، فلا يعطون للأهالى إلّا بقدر الخدمة والعمل، وعلى حسب ما تسمح به نفوسهم فى مقابلة المشقة، يعنى أنّ الملّاك فى العادة تتمتع بالمتحصل من العمل، ولا تدفع فى نظير العمل الجسيم إلّا المقدار اليسير الذى لا يكافئ العمل".

بواكير الاشتراكية المصرية

هذه المقارنة الكاشفة عن تأثر الطهطاوى بالمفكر الاشتراكى الفرنسى لا تجرى على خلفية التأثر الفكرى النظرى المحض، لكنها تجرى على أرضية التأثر الواقعى التاريخى كذلك. إذ أنه بدء من ثلاثينات القرن التاسع عشر كان للسان السيمونيين (أتباع الفيلسوف الفرنسي) وجودهم المباشر وتأثيرهم القوى على النخبة المصرية، منذ فرارهم إلى مصر بعد فشل الثورة الفرنسية التى نشبت سنة ١٨٣٠م مستهدفة العودة إلى مباديء الثورة الفرنسية الكبرى، ومن قبلها عن طريق صلاتهم بأعضاء البعثات التى أرسلها "محمد على باشا" تباعا إلى فرنسا.

لم يكن عمل السان سيمونيين فى مصر مجرد عمل تعليمى تدريسي، بل امتد إلى تكليف محمد على لهم بمهام تنفيذية فى مشروعاته العسكرية الفنية والهندسية الإنشائية والتصنيعية الانتاجية. وكان عملهم يجرى فى نطاق مشروعهم الثقافى الذى حرصوا على تعريف المصريين به وعلى تبنيهم لتعاليمه.

جرى ذلك فى ظل نهضة محمد على التحديثية بشكل سلس وتلقائي، لكنه توقف من بعد رحيله، ثم رحيل السان سيمونيين عن مصر سنة ١٨٥٠م بسبب انتشار الوباء، ومع بدء حقبة رجعية بدأت مع ارتقاء حفيد الباشا "عباس الأول" (١٨١٣ – ١٨٥٤م) سدة الحكم، وتحت حكمه توقفت حركة التقدم والنهضة، وتعطلت المشاريع الكبرى لمحمد على كل الأصعدة. ثم نُفى "الطهطاوي" بسبب ميوله التقدمية إلى السودان.

لم يبق أمام تلاميذ السان سيمونيين فى مصر – فيما يبدو – إلا التفكير فى عمل يتمكنون به من مواجهة رجعية "عباس الأول". ومن المؤسف ألا تحتفظ لنا مصادر التاريخ المصرى التى تعود لتلك الفترة بمعلومات عن تلك الواقعة لو كانت قد حدثت كما يرجح، لكن مصادر السان سيمونيين الذين أبقوا على اتصالاتهم بمصر تشير إليها، وتذكر أطرافا من سيرة أبطالها من الضباط والعلماء المستنيرين

مصريون وسان سيمونيون

محمد بيومي، محمد مظهر، مصطفى بهجت. ثلاثة أسماء تحتفظ بمكانة هامة فى طلائع الاشتراكيين المصريين. وثلاثتهم من أعضاء البعثات المصرية التى أرسلها محمد على إلى فرنسا، ودرسوا لخمس سنوات

مصطفى بهجت باشا

تمثال لسليمان باشا الفرنساوي

فى المدرسة الهندسية بباريس على يد الفيلسوف الاجتماعى أوجست كونت (١٧٩٨ – ١٨٥٧م) أشهر تلاميذ الفيلسوف الاشتراكى "سان سيمون". بالإضافة لذلك دأب بعضهم على الحضور – بأزيائهم العسكرية – المحاضرات التى كان يلقيها أتباع سان سيمون بشارع "مونسيني" فى باريس دعاية لمذهبهم.

وجد السيمونيون فى هؤلاء الضباط الثلاثة تلامذة لهم، ورفاق فكر يشتركون معهم فى طموحاتهم التقدمية. وفى مصر كانوا شركاءهم الصادقين فى إقناع محمد على باشا بإنجاز خطط السيمونيين الصناعية الكبرى، كما كانوا شركاءهم فى تنفيذ مشروعات محمد على التحديثية، خاصة تأسيس وتشغيل المدرسة الهندسية بالقاهرة. يذكر السيمونى بروسبير أنفانتان فى مذكراته أن محمد مظهر كان دائم السؤال عن دور الفلسفة الوضعية الخاصة بسان سيمون فى صياغة عالم جديد قائم على المنفعة المشتركة والمشاريع الصناعية وإحلال السلام الدائم فى العالم.

عندما زار مظهر انجلترا سنة ١٨٤٣ فى بعثة لشراء الآلات قدمه "أوجست كونت" إلى صديقه الفيلسوف الإنجليزى "جون ستيوارت ميل" بالقول: "إنه موظف سامى فى مصر مكلف بإدارة الأشغال العامة، وقد درسته لمدة خمس سنوات فى المدرسة الهندسية بباريس لما كان طالبا فى البعثات التعليمية المصرية، وكان من أنجب الطلبة وأكثرهم شغفا بالتعلم".

وفى مذكراته يمتدح المهندس السيمونى ميشيل برينو كفاءة المهندس مصطفى بهجت وشغفه بالمعرفة والإطلاع والتعلم. كان بهجت من أقرب الضباط الثلاثة للسيمونيين خاصة بعد زواجه من فرنسية فى باريس، وإقامة علاقات صداقة قوية مع بعض منهم كانوا يلتقون فى بيته بالقاهرة ومزرعته بالجيزة ويتبادلون الحديث فى مختلف الميادين الاقتصادية والسياسية المصرية والعالمية. فيما بعد – وعلى عهد الخديوى سعيد الذى خلف عباس – سيكون مصطفى بهجت مع محمد مظهر هما بطلا إتمام مشروع القناطر الخيرية التى كانت فى تلك الآونة المشروع الهندسى الأضخم فى العالم.

أما محمد بيومى فقد عين مديرا للمدرسة الهندسية خلفا لمديرها السان سيمونى شارل لومبار الذى كان تلميذا وصديقا له، بالإضافة إلى اضطلاعه بالترجمة فى مدرسة الألسن التى أسسها رفاعة الطهطاوى بعد أن ترأس برتبة البكباشى قلم ترجمة الكتب العلمية والرياضية. يذكر لومبار أنه طالما تناقش مع محمد بيومى فى الفلسفة الوضعية ودور الأفكار السان سيمونية فى الانتقال بمصر من مرحلة المجتمع الإقطاعى إلى مرحلة المجتمع الصناعي.. وقد نُفى بيومى مع الطهطاوى إلى السودان حيث كلفهما الخديوى عباس الأول بالعمل فى مدرسة ابتدائية بالخرطوم، وفى حين صمد الطهطاوى لتجربة النفى القاسية لم يتحملها بيومى ومات قهرا فى منفاه.

ويشير كتاب ألّفه أحد السيمونيين بعنوان "محمد بيومى فى المنفى" إلى أن نفيه وتكليفه بوظيفة مدرس رياضيات فى المدرسة الابتدائية التى كلف الطهطاوى بإدارتها، وهو كبير علماء الرياضيات فى مصر، لم تكن غير عقوبة بسبب اشتراكه فى مجموعة سياسية سرية معارضة للحكم الاستبدادى الرجعى لعباس الأُول. ويشير المصدر الفرنسى إلى أن هذه المجموعة شُكلت بإيعاز من إبراهيم أدهم باشا الذى كان وزيرا للمعارف وتوطدت علاقته بالسيمونيين فى زمن حكم محمد علي، وكانت أول لقاءاته معهم فى بيت الكولونيل "دون ساف" أو الكولونيل سيف، سليمان باشا الفرنساوى (١٧٨٨ – ١٨٦٠م) الذى كلفه محمد على بتأسيس وقيادة الجيش المصري.

وعن علاقة إبراهيم أدهم باشا بالسيمونية يقول رحالة فرنسى زار مصر سنة ١٨٤٤م: "أحسست أنه متعاطف مع السيمونيين ومتأثر بأفكار سان سيمون وفورييه، وكان يتابع بشغف وحب اطلاع كبيرين النقاشات حول المشاريع الصناعية الكبرى وفلسفة سان سيمون الاجتماعية:. وهو ما تثبته مراسلات أدهم نفسه لبعض السيمونيين. كما يؤكده لومبار بقوله: "كان يبحث فى كل تفاصيل مذهبنا، وكان يحاول جاهدا التعرف على مقولاتنا ومناقشة أفكارنا، وخاصة المتعلق منها بالجانب الصناعى والمشاريع الحديثة الكبرى".

رغم صمت المصادر المصرية التام بإزاء ما تداولته كتابات السيمونيين عن "تحرك" من قبل الضباط المصريين للتصدى لرجعية عباس الأول، إلا أن المؤكد هو أن نفى الطهطاوى وبيومى ومعهما عدد من أكابر علماء مصر فى ذلك الزمان لم يكن لسبب آخر سوى لميولهم الفكرية والسياسية التقدمية المناوئة لرجعية عباس.

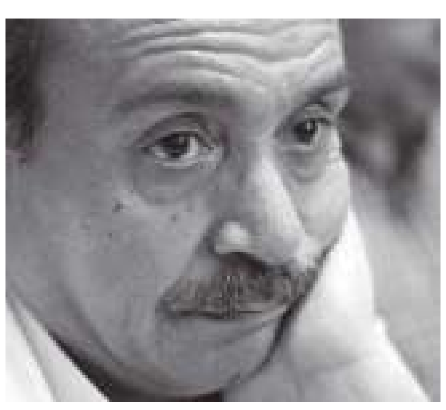

بقلم: عصام الزهيرى

عاصفة بوح

لنحترم إنسانيته

وفاء الشيشيني

هل يشك أحد فى عظمة علم الشيخ الشعراوى .. هل يشك أحد فى صدقه وقربه من الله وهمته فى أن تصل الأمة إلى بر الأمان عبر فهم دينها بأبسط الطرق وأصدقها. هل يشك أحد فى قدرته على الوصول بعلمه الغزير إلى قلوب محبيه ومريديه بحيث أصبح بالنسبة للكثيرين جسر تواصل مهيب بين العباد ونصوص كلام الله سبحانه ، يفهمونها ويستوعبونها ويرضون بها ، عن اقتناع بأوامره ويستغنون راضين عن نواهيه ، لا أتصور.

عشنا أعواما كثيرة وهو العالم الفهامة البسيط الضحوك الذى أعطاه الله قبولا جماهيريا ، ربما عز على كثيرين فى نفس مستوى علمه ولكن تنقصهم الكيمياء الربانية التى منحته قبولا ورضا فى قلوب الناس.. لذلك احتل وحده دون غيره من سائر العلماء ولسنوات موقعه المتميز فى الإعلام ، ينتظره علية القوم وأبسطهم يجلسون مفتوحى الأفواه من عظمة ما يسمعونه من هذا الشيخ البسيط.

ولكن رغم كل ما سبق ، هل شيخنا الجليل إنسان أم نبى موحى إليه من السماء؟ إنسان أم مقدس؟ إنسان يخطىء ويصيب ، يعلم ويجهل فى حدود قدراته العقلية الإنسانية ، فى حدود البيئة التى تربى فيها؟ ، فى حدود العصر الذى ولد فيه ، فى حدود الحرية الفكرية التى توافرت له أم لم تتوافر ، فى حدود الضغوط السياسية التى حوطته ، فى حدود قدرة الإنسان الذى يرى نفسه متميزا بحب عن الجميع.

لجماهيرته الطاغية وعلمه الغزير الذى رأى أنه الاصوب إذا ما اختلفت نظرة العلماء الآخرين ، سطوة على القلوب والعقول قد تلعب فى مناطق إنسانية لا ينجح فيها الكثيرون. وهيبة لم يكن له اليد فيها من مريديه بحيث أن الاقتراب من آراء أو فتاوى أو تفسيرات فقهية قد تعرض قائلها إلى الاغتيال المعنوى أو أكثر إن تجرأ أو أفصح عنها وعارضها!.

لم يكن ذلك ذنب شيخنا الجليل ، لأنه لم يعلن مطلقا أنه متميز عند الله ، أو أنه يتلقى إلهاما من السماء أو أن علمه أغرز من الآخرين أو طالب الناس بذلك.. ولكن للأسف هم وضعوه فى مكانة مقدسة لا يجب أبدا أن ينالها إنسان مهما بلغ من علم وتقوى ونية صافية ورغبة فى رضا الله على المستوى الشخصى أو العام ومع ذلك حدث ، حتى أن علماء كبار فى مجاله كانوا يخشون أن يعارضوا تفسيراته خوفا من رد فعل الناس ، وذلك أتصور كانت إحدى الجرائم التى ارتكبت فى حق شيخنا العلامة .. مرة أخرى لم يكن خطؤه ، كان خطأ العقلية المصرية التى تمجد كل متميز بحيث تضفى عليه صفات غير إنسانية ، بحيث تجعل الاقتراب منه محفوفا بالمخاطر وتحرمه من فرصة الاستماع للمختلفين معه ، أو مراجعة بعض أفكاره إذا ما نُبِّه إليها من زملاء على نفس القدر من العلم و المسؤولية الدينية!!

لا يوجد إنسان فوق المراجعة والمحاسبة مهما بلغ قدر علمه ، ولكن محبة الناس واقتناعها بأفكاره أوصلته إلى تلك المكانة التى قد تغرى أى إنسان أن يتصور ألا أحد يضاهيه أو له الحق فى معارضة أفكاره ، ونسوا أن اختلاف الفقهاء رحمة وأن الرسول الكريم ذاته قد روجع فى أمور كثيرة رغم أنه كان موحى إليه من السماء ، وكان الناس يناقشونه ويتساءلون عما يقلقهم ، وأن الله سبحانه ذاته قد عاتبه فى "عبس وتولى" ، فكيف نضع عالم دين متميزا فوق كل ما سبق؟

أعترف أنا كاتبة المقال أنى لم أقتنع كثيرا بآرائه فيما يخص المرأة والميسيحيين ، ووجوب قتل الممتنع عن الصلاة والأخيرة خطيرة جدا لأنها تناقض مبدأ إلهيا (من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وبعض التصرفات السياسية التى أوجعتنى منه ، ولكن فى السنتين الماضيتين ، صالحنى الفيس بوك بفيديوهاته على سيدنا الشيخ بعيدا عن كل ما سبق ، فهمت منه أشياء دخلت قلبى وفتحت لى طريق الصبر على مصيبة أصابتنى ، لا ينقص من قدر الشيخ لو اقتنعت ببعض آرائه وتفسيراته ولم أقتنع بالبعض الآخر .. فذلك لا يكفرنى ولا ينزل من قدر الشيخ قلامة ظفر.

ببساطة لأنه إنسان وليس رسولا ولا موحى إليه من السماء .. فلنقيمه على هذا الأساس ، فالمجتهد له أجران إذا أصاب وأجر إن أخطأ بحسن نية .. رحم الله شيخنا الجليل.

صفحة متخصصة تعنى بكل ما هو جديد فى قطاع التكنولوجيا والمعلومات والاتصالات وما يرتبط به من قطاعات وشركات.. ننقل الصورة بواقعية دون رتوش.. نبدى رأينا.. ونرحب بالآراء الأخرى.

يمكنكم مشاهدة الصفحة على موقع جريدة المشهد www.elmashhad.online

مباحثات مصرية هندية

وزير الاتصالات يبحث التعاون وجذب الاستثمارات الهندية للسوق المصرى

فى العاصمة الهندية نيودلهى، بدأت المباحثات المصرية بين الدكتور عمرو طلعت وزير الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات والوفد المرافق له، ومسؤولين فى الحكومة الهندية، والرؤساء التنفيذيين لكبرى الشركات الهندية العاملة فى مجال الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات والمؤسسات الأكاديمية المتخصصة.

والتقى الوزير والوفد المرافق له مع مسئولين حكوميين فى الهند لبحث سبل دفع التعاون المشترك بين البلدين فى المجالات ذات الصلة فى ضوء التجربة الهندية الناجحة فى مجال الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات.. وفى مستهل الزيارة التقى الدكتور عمرو طلعت مع شرى أشوينى فايشناو الوزير الفيدرالى للسكك الحديدية والاتصالات والإلكترونيات وتكنولوجيا المعلومات الهندى فى العاصمة الهندية نيودلهى بحضور وائل حامد سفير مصر فى الهند.

كما عقد الدكتور عمرو طلعت اجتماعا مع عدد من كبرى الشركات من أعضاء اتحاد الصناعة الهندى CII المعنى بمجال خدمات واستشارات تكنولوجيا المعلومات.. كما عقد الوزير اجتماعا مع رانجيت جوسامى رئيس الشراكات الدولية بشركة TCS الهندية المتخصصة فى مجال خدمات تكنولوجيا المعلومات وحلول الأعمال والاستشارات؛ تناول الاجتماع استعراض أبرز المشروعات التى يتم تنفيذها فى مصر لتحقيق التحول الرقمى والجهود المبذولة لتنمية صناعة التعهيد.

وبحث الوزير مع الدكتور مادان موهان تريباثى المدير العام للمعهد الوطنى للإلكترونيات وتكنولوجيا المعلومات (NIELIT)؛ سبل التعاون المشترك فى مجال تنمية المهارات الرقمية فى إطار المبادرات والبرامج التى تقدمها وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات..كما التقى الدكتور عمرو طلعت مع فيكاس جاين العضو المنتدب لشركة "ميكروماكس" المتخصصة فى تصنيع الهواتف المحمولة، وروهان أجاروال المدير العام لشركة "بلاى" المتخصصة فى تصنيع ملحقات واكسسوارات الهواتف المحمولة، وأجهزة الشحن.

كما عقد الوزير اجتماعا مع سانجاى نياك المؤسس والرئيس التنفيذى لشركة "تيجاس" TEJAS الهندية الرائدة فى مجال الاتصالات السلكية واللاسلكية وتصنيع أجهزة ومعدات الاتصالات المختلفة..كذلك التقى الوزير مع سى بى جورنانى الرئيس التنفيذى والعضو المنتدب لشركة "تك ماهندرا" ومسؤولى الشركة.

واجتمع الدكتور عمرو طلعت مع رانجان بانيرجى مدير المعهد الهندى للتكنولوجيا IIT أحد أفضل المعاهد على مستوى العالم فى بناء القدرات بمجال تطوير البرمجيات والأنظمة..كما التقى الوزير مع شيفندرا سيناغ نائب الرئيس ورئيس تنمية التجارة العالمية لمنظمة ناسكوم NASSCOM، وعدد من الشركات من أعضاء المنظمة التى تقدم ٩٠٪ من إيرادات صناعة خدمات تعهيد الأعمال التجارية وتكنولوجيا المعلومات فى الهند.

كما التقى الوزير مع أرافيند كومار المدير العام لمراكز تكنولوجيا البرمجيات فى الهند (STPI)..وعقد الوزير اجتماع مع أنيس تشينشاه الرئيس التنفيذى لشركة ويبرو بمنطقة آسيا والمحيط الهادئ والشرق الأوسط وعدد من قيادات الشركة الرائدة فى مجال تقديم الاستشارات والخدمات والحلول التكنولوجية التى تلبى احتياجات التحول الرقمي.

كذلك التقى الدكتور عمرو طلعت مع باداما بارثاراثى، رئيس الاستشارات العالمية وسودهير ناير الرئيس التنفيذى لتقديم خدمات وأعمال البنية التحتية والحوسبة السحابية بشركة "تك ماهندرا" المتخصصة فى خدمات واستشارات تكنولوجيا المعلومات..وكذلك بحث الوزير مع أميت شارما الشريك الإدارى لمركز IBM العالمى لتقديم خدمات تكنولوجيا المعلومات وأرنب ساها رئيس مركز الحلول الابتكارية؛ خطة التوسع فى أنشطة المركز بالقاهرة.

silent
خالد أبو المجد
elmagd_kh@yahoo.com

«التعهيد»..وفترات الفتور..!!

فى ظل أزمة توافر العملات الأجنبية الحالية تبرز من جديد أهمية صناعة "التعهيد Outsourcing"، والتى تعد وسيلة سهلة ومتاحة ويجيدها الشباب المصرى إلى الحد الذى جعل مصر تتربع على عرشها قبيل ١٤ عام، كما أن مؤسسة «ايه تى كيرني» أشارت فى تقرير لها أن مصر جاءت فى المركز الأول على مستوى الشرق الأوسط وإفريقيا فى مؤشر جاذبية الدول المقدمة لخدمات التعهيد العالمية لعام ٢٠١٧.

فى فبراير من العام الماضى أطلقت مصر استراتيجيتها الرقمية لصناعة التعهيد، هذه الصناعة التى تعد من المجالات الصناعية كثيفة العمالة، وأصبح التوجه إليها والاستعانة بها هدف وغاية لغالبية الدول والشركات العملاقة والمتوسطة..حتى والصغيرة.

هذه الصناعة يبلغ حجم السوق الخاص بها قرابة ٣٥٠ مليار دولار، كل عناصرها التى تحتاجها متوافرة لدينا، من حيث البنية البشرية المدربة والمتقنة لأكثر من لغة، حتى وسائل الاتصال والتكنولوجيا الحديثة، ومع ذلك تستحوذ منطقة الشرق الأوسط كلها على ٧٪ فقط من حصة السوق العالمية..ولم تتخط حجم العمالة المصرية بهذه الصناعة حتى نهاية الربع الأول من العام الماضى ١٠٠ ألف شاب فقط، مما يعد رقماً متواضعاً للغاية إذا ماقورن بـ ٦٠٠ ألف خريج جامعى سنويا.

تمتاز مصر بأفضلية كبيرة بين دول العالم فى مجالات هذه الصناعة، ناهيك عن أن أكثر من ٩٠٪ من البيانات بين الشرق والغرب تمر عبر الأراضى المصرية، إلا أن الملاحظ أن الاهتمام بتنمية وريادة صناعة التعهيد يمر بفترات من النشاط وأخرى من الفتور، فخلال الأسبوع الماضى قام الدكتور عمرو طلعت، وزير الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات بزيارة للهند، هدفت هذه الزيارة إلى جذب الاستثمارت، وتم خلالها دعوة الشركات الهندية إلى الاستثمار فى مصر فى صناعة مراكز البيانات، ومراكز التعهيد والخدمات العابرة للحدود.

الهند تعد من النمور العالمية فى هذه الصناعة، ففى العام ٢٠١٩ احتلت الهند المركز الأول فى مؤشر أفضل مواقع تقديم خدمات التعهيد عالميًا، بنسبة بلغت ٧,٠٦٪، فى الوقت ذاته جاءت مصر فى المرتبة ١٤ بنسبة ٥,٥٦٪، وبحسب تقرير إنجازات وزارة الاتصالات، فإن حصة مصر من سوق خدمات تعهيد قطاع تكنولوجيا المعلومات دوليا وصل نهاية العام ٢٠١٩ إلى ١٦ ٪، لتحتل بذلك المركز الأول فى منطقة الشرق الأوسط وأفريقيا..مما يجعلها وجهة محمودة ومقصد مرجو للتعاون فى النمو بهذه الصناعة فى مصر.

وللوقوف على مايمكن أن تساهم به هذه الصناعة (السهلة) فى الاقتصاد القومى لك أن تعلم أن الهند خسرت فى العام ٢٠٢٠ قرابة ٣ مليار دولار إثر إنقطاع الانترنت لأيام قليلة، فى الوقت ذاته حققت مصر حجم صادرات رقمية خلال العام ٢٠١٩ من خدمات التعهيد وبرامج السوفت وتكنولوجيا المعلومات وصل إلى ٣,٦ مليار دولار، مقابل ٣,٢ مليار فى ٢٠١٨ .

لدينا شباب يتقن عدد من اللغات، بلهجات أصحابها، ولدينا بنية تحتية مذهلة، وكابلات فايبر تمتد لكيلو مترات يومياً من خلال (حياة كريمة)، وسرعات إنترنت عالمية..فماذا يمنعنا من ريادة صناعة التعهيد عالمياً..؟

«غير أى حد»..«وى» تحتفل بالعميل رقم 12 مليون للمحمول

أعلنت شركة «WE" عن تطوير علامتها التجارية وشعارها مع بداية العام الجديد ٢٠٢٣ وذلك احتفالا بوصول عدد عملاء المحمول إلى ١٢ مليون عميل بحصة سوقية تتجاوز ١٠٪ خلال ٥ سنوات من إطلاق العلامة التجارية WE لتصبح أول مشغل متكامل داخل سوق الاتصالات المصري، وجاء تطوير العلامة التجارية والشعار ليصبح "غير أي حد" تماشيًا مع خطة واستراتيجية الشركة خلال المرحلة المقبلة وتحولها من أول مشغل اتصالات متكامل إلى أول مشغل اتصالات رقمي وتقديم حلول وخدمات رقمية مبتكرة ومختلفة تساهم في تعزيز الاقتصاد الرقمي والإسراع من وتيرة التحول نحو المجتمع الرقمي وذلك بما يتناسب مع مكانة وريادة الشركة المصرية للاتصالات كواحدة من أكبر وأقدم مقدمي خدمات الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات في المنطقة.

وبهذه المناسبة، أعرب المهندس عادل حامد العضو المنتدب والرئيس التنفيذي للشركة المصرية للاتصالات WE عن سعادته بما حققته الشركة وفريق العمل خلال الفترة الماضية ووصول عدد عملاء المحمول إلى ١٢ مليون عميل في إنجاز جديد تسطره الشركة وترجمة حقيقية لاستراتيجيتها وهو ما يؤكد على أننا نسير بخطوات ثابتة نحو التحول إلى مشغل رقمي وهو النموذج المستقبلي لخدمات الاتصالات خلال الفترة المقبلة وذلك اعتمادا على أحدث الشبكات والتقنيات لتلبية احتياجات ومتطلبات عملائنا بمختلف اهتماماتهم، مضيفا أن رؤية المصرية للاتصالات ترتكز خلال الفترة المقبلة على تقديم خدمات رقمية لتمكين المجتمع المصري ودعم خطط الدولة نحو التحول الرقمي من خلال تقديم أفضل الخدمات بأعلى جودة ممكنة وذلك بما يساهم في تعزيز القيمة السوقية للشركة، مؤكدًا أن التغيير في شعار الشركة وعلامتها التجارية ليس فقط على مستوى الشكل ولكن أيضا هو تغيير للمضمون ونوعية الخدمات التي تسعى الشركة لأطلاقها خلال الفترة المقبلة وإضافة بعدا جديدا للخدمات الرقمية التي تساهم في إثراء تجربة عملائها وتعزيز ريادتها داخل السوق المصري.

وأكد محمد أبوطالب نائب الرئيس التنفيذي للشئون التجارية أن بعد مرور ٥ أعوام على إطلاق العلامة التجارية WE استطاعت الشركة خلالها أن تصل لمختلف العملاء والقطاعات باختلاف اهتماماتهم بشكل يتناسب مع عراقة وتاريخ المصرية للاتصالات في ظل المنافسة الشرسة الموجودة داخل سوق الاتصالات المحلي والذي تصل نسبة التشبع به لما يقرب من ١١٠٪ ، مضيفا أن الشركة نجحت في بناء وكسب ثقة عملائها عام بعد عام وأثبتت بقاعدة عملائها التي وصلت إلى ١٢ مليون عميل أنها جديرة بهذه الثقة، موضحا سعى الشركة الدائم نحو تحديث بنيتها التحتية هو ما انعكس بشكل واضح على جودة الخدمات التي تقدمها الشركة وكفاءتها سواء على مستوى خدمات الصوت أو الانترنت، وأشار أبو طالب إلي أن تغيير شعار الشركة من "قبل أي حد" إلى "غير أي حد" هو توضيح لاستراتيجية الشركة خلال الفترة المقبلة والتي تتمثل في تقديم خدمات وحلول مبتكرة ومختلفة لتمكين عملائها من الحصول على تجربة أكثر تميزا من حلول وخدمات الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات تتلاقى مع اهتماماتهم واحتياجاتهم المستقبلية.

طابع تذكارى بمناسبة «عيد البريد»

أصدرت الهيئة القومية للبريد طابع بريد تذكاريًا بمناسبة الاحتفال بيوم البريد، الذى يوافق ٢ يناير من كل عام، ويمثل هذا اليوم تاريخ تأسيس البريد المصرى فى الثانى من يناير ١٨٦٥م، ومنذ ذلك الحين اتخذ البريد المصرى ذلك اليوم عيدًا له.

فى هذه المناسبة قال الدكتور شريف فاروق، رئيس مجلس إدارة الهيئة القومية للبريد: « إن يوم ٢ يناير يمثل يومًا تاريخيًّا فى تاريخ البريد المصري؛ حيث إنه اليوم الذى نقلت فيه ملكية البوسطة الأوربية إلى الحكومة المصرية».

وأضاف: «منذ ذلك الوقت والبريد المصرى يروى قصص نجاح خلدت فى تاريخ الوطن عبر مجهود مشرف من العاملين به»..وأوضح: «جميع هؤلاء العاملين شغلهم الشاغل خدمة المصريين وتلبية احتياجاتهم؛ حتى أصبح البريد المصرى مثلا يحتذى بين الهيئات والمؤسسات البريدية حول العالم، مما يؤكد ريادة مصر فى تقديم الخدمات البريدية».

وأكد الدكتور شريف فاروق أن تصميم طابع عيد البريد هذا العام يعبر عن «العراقة والتطور»؛ حيث تم الاعتماد فى تصميم الطابع على صور واقعية لمكتب بريد «القاهرة الرئيسي» بعد تطويره وترميمه برؤية مبتكرة للحفاظ على قيمته التاريخية والتصميم المعمارى الأصلى للمبنى، إلى جانب تزويده بأحدث الأنظمة والحلول التكنولوجية لتقديم جميع الخدمات المالية والبريدية والحكومية وخدمات مصر الرقمية للمواطنين بكل كفاءة ويسر.

يذكر أن مكتب بريد «القاهرة الرئيسي» يقع على مساحة ١٢٢٠ مترًا مربعًا، ويحتوى على ٣٢ شباكا لتقديم الخدمات للعملاء، وبه غرفة مخصصة لكبار العملاء مجهزة بثلاثة شبابيك، إلى جانب شباك مجهز لذوى الاحتياجات الخاصة.

وجدير بالذكر أن إصدار طابع يوم البريد متنوع المقاسات، طابعان (٣ سم فى ٥ سم) وملحق بينهما طابع (٣ سم فى ٢,٥ سم) جميعها مؤمنة ضد التزييف ومتعددة الألوان، وقيمة كل طابع منها ١٠ جنيهات ومزودة بتقنية الـ QR Code لخلق تجربة تفاعلية ثرية لمقتنى هذه الطوابع التذكارية والمتابعين تمكنهم من اكتساب المعرفة حول مناسبة إصدار الطابع أو البطاقة بطريقة مبتكرة وجذابة.

رئيس شعبة الاتصالات يحدد آليات ضبط الأسواق

قال إيهاب سعيد، رئيس شعبة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات بالاتحاد العام للغرف التجارية وعضو مجلس ادارة غرفة القاهرة التجارية، أن آليات ضبط الأسواق تتطلب عدداً من الإجراءات العاجلة من الدولة.

وحدد سعيد هذه الإجراءات قائلا: «منها إعلان التسعيرة الاسترشادية لكل منتج، وتدوين السعر النهائي علي العبوات والسلع، بالاضافة الي تكثيف حملات الرقابة علي الأسواق من الاجهزة المختصة.. موضحا أن لكل سلعة تكلفة انتاج محددة يضاف عليها هامش ربح مناسب للمصنع والتاجر».

وطالب رئيس الشعبة بضرورة كتابة وتدوين السعر علي المنتجات والسلع بكافة انواعها منعا لحدوث اي تلاعب من بعض التجار أو من السلاسل التجارية الكبيرة، وأشار إلى أن تطبيق الفاتورة الالكترونية ستؤدي الي الحد من عملية التلاعب وتعطي كثير من الشفافية والمصداقية للتاجر امام المستهلك.

وتابع: «الفاتورة الالكترونية تمثل الخطوة الأولي والصحيحة لعملية ضبط الأسواق والحد من الممارسات الاحتكارية وتخزين السلع»، وصرح: «تفعيل منظومة التحول الرقمي الحل السحري لانهاء ما يحدث حاليا في الأسواق من تجاوزات وبيع السلع بأسعار ازيد من تكلفتها في ظل ما يمر العالم به من ازمة تضخمية نتيجة الحرب الروسية الاوكرانية».

واوضح سعيد أن تطبيق الفاتورة الالكترونية سيؤدي أيضا إلي منع التقديرات الضريبية الجزافية التي قد تحدث، كما ستساهم في تقليل حالات النصب والاحتيال علي المستهلكين.. وأبدى تأييده لتطبيقها؛ ومساندة الدولة في اتاحة هذه الخدمة للمواطنين مما سيعطي عملية البيع والشراء مزيد من الشفافية بين التاجر والمستهلك.

ولفت الي اهمية خفض حلقات تداول السلع للحد من استغلال بعض التجار الجشعين لذلك في زيادة الاسعار، وأشار إلى أن هناك دور كبير للغرف التجارية في ضبط الأسعار، حيث تم تشكيل لجان مشتركة بين الغرف التجارية والصناعية والجهات المعنية لتحديد التكلفة الفعلية لكل سلعة وعمل سعر استرشادي بعد احتساب هامش ربح حقيقي لكل سلعة علي حدة، ويجري حاليا عقد ورش عمل في كل الغرف التجارية بشأن اليات ضبط الأسواق والاستعداد لموسم شهر رمضان الكريم وانشاء معارض للسلع بأسعار مخفضة.

وطالب رئيس الشعبة بضرورة تشجيع وتفضيل المنتج المحلي لدعم الصناعة الوطنية وتقليل عمليات الاستيراد والحفاظ على العملة الدولارية، مشيرا إلى أن عملية الميكنة ستحل معظم التحديات التي تواجه الدولة حاليا وتؤدي الي تقليل الهدر في الوقت والجهد والطاقة وتقضي علي البيروقراطية الادارية وتحد من الفساد الاداري.

«OPPO" تطرح نظام التشغيل ColorOS 13

أعلنت شركة OPPO رسميًا عن طرح نظام التشغيل ColorOS ١٣ على نحو أسرع من أى إصدار سابق فى تاريخ أنظمة تشغيلها.

كما قامت الشركة بتوسيع سياسة التحديث الخاصة بها لـ ColorOS لضمان أربع تحديثات رئيسية لنظام Android مع خمس سنوات من التصحيحات للارتقاء بأنظمة الهواتف الرائدة والرئيسية المختارة بدءًا من عام ٢٠٢٣.

ويُعتبرColorOS ١٣ هو أحدث نظام تشغيل يعمل بنظام Android من OPPO، ويتضمن مجموعة من المميزات مثل التفعيل الدائم للشاشة، أو AOD، والاتصال متعدد الشاشات وتقنية إدارة الشاشة الرئيسية التى تتيح استخدام ذكى وسهل للعملاء حول العالم.

ومنذ إطلاقه فى ١٨ أغسطس ٢٠٢٢، استخدم ColorOS ١٣ فى ٣٣ طراز من الهواتف الذكية فى مختلف الأسواق التى تعمل بها OPPO، مما يجعله النظام الذى شهد أسرع وأكبر تحديث فى تاريخ ColorOS، خلال الإطار الزمنى نفسه البالغ أربعة أشهر بعد الإصدار الرسمي، حيث يستمتع الآن ثلاثة أضعاف عدد المُستخدمين بنظام التشغيل المتطور،ColorOS ١٣، مقارنة بنظام تشغيل ColorOS ١٢ خلال الفترة نفسها.

كما أعلنت OPPO عن السياسة الجديدة لتحديث ColorOS، ويتضمن ذلك الالتزام بتقديم أربعة تحديثات رئيسية لـ ColorOS خمس سنوات من تصحيحات الأمان المنتظمة لنماذج رائدة مختارة بدءًا من ٢٠٢٣..وتهدف OPPO من خلال تلك التحديثات المستمرة لتقديم تجارب ذكية أكثر استدامة واستقرارًا للمستخدمين حول العالم من خلال الارتقاء المتواصل بأنظمة تشغيل ColorOS.

«أورنج مصر» أفضل مبادرة للمسؤولية المجتمعية للعام 2022

اختارت مجلة Global Brands Magazine البريطانية، شركة اورنج مصر للفوز بجائزة أفضل مبادرة للمسؤولية المجتمعية فى قطاع الاتصالات لعام ٢٠٢٢، لتصبح بذلك الشركة المصرية الوحيدة فى قطاع الاتصالات التى تحصل على هذا اللقب إلى جانب شركات أمريكية ويابانية وسويدية أخرى.

ولاختيار الفائزين بجوائز Global Brands Magazine السنوية للعلامات التجارية لعام ٢٠٢٢ تم تقييم أكثر من ١٨ ألف شركة، حيث تنتقى المجلة الفائزين بجوائزها بناء على معايير تنافسية للغاية تتضمن المقارنة مع جميع الشركات الكبرى التى تعمل فى نفس القطاع وضمن مجالات متعددة كالاتصالات والطيران والأنشطة المالية والمصرفية والطاقة والترفيه والتكنولوجيا المالية واللوجستيات وغيرها من الفئات.

واستحقت اورنج مصر هذا التكريم نظرا لالتزامها الاستثنائى بالابتكار والجودة والظهور الملفت خلال ٢٠٢٢ على مستوى مبادرات وحملات المسؤولية المجتمعية التى شملت مجالات الثقافة والفنون وتمكين الشباب ودعم ريادة الأعمال واستكشاف المواهب وتنمية المجتمع ومساندة المرأة وتعزيز الرعاية الصحية والتعليم وحماية البيئة والتوعية بالتغير المناخي.

جدير بالذكر أن Global Brands Magazine هى مجلة عالمية رائدة متخصصة فى تتبع مختلف العلامات التجارية الكبرى فى جميع أنحاء العالم، ومن مقرها الرئيسى فى بريطانيا توفر المجلة لمجتمع الأعمال والمستثمرين وقادة الشركات، تحليلات وأخبار واستطلاعات رأى حول العلامات التجارية وتعد بمثابة مصدر ذكى ومستقل للمعلومات فى هذا المجال.

قالت العرب

لم تكوني هنا / مرّت الطيرُ وانتظرتْك تِباعاً / على حافة الكأس / مرَ هواءٌ بعينين
معصوبتين / وفتّش عنكِ / مساءٌ من الأبنوس المرصّع بالمرَمرَ / خيولٌ مسوّمةٌ وأفاع تصلصلُ
أجراسُها / مرَ سروٌ وحنّى ذؤاباته بغيابكِ شيئاً/وفوق يديّ انحنى ..!لم تكوني هنا!.

المشهد
العدد 327 – السنة الحادية عشرة- الأحد 15 يناير 2023م – 22 جمادى الآخر 1444هـ

عالمة موسيقى وأنثروبولوجيا ثقافية تتحدث عن الموسيقى والمرأة فى آسيا الوسطى

راضية سلطانوفا: الموسيقى ستختفى من أفغانستان إذا استمر حكم طالبان

ليس من الممكن حدوث انتفاضة نسائية فى أفغانستان بسبب تعدد الأعراق وحواجز اللغة

تحتل الموسيقى مكانة كبيرة فى آسيا الوسطى، وعلى وجه الخصوص فى أفغانستان، وهو ما أكدت عليه الدكتورة راضية سلطانوفا، عالمة الموسيقى والأنثروبولوجيا الثقافية وهى أستاذ زائر فى جامعة تشارلز فى براج وزميلة فى كلية كامبريدج الإسلامية، والتى درست موسيقى الأوزبك والأقليات العرقية الأخرى فى شمال أفغانستان.

كيف تصمد الحياة الثقافية فى مواجهة الاضطرابات المستمرة؟ هذا ما تستكشفه راضية سلطانوفا وتجيب عليه بشهادات مستفيضة واتصالات شخصية ومحادثات مع مجموعة متنوعة من الرجال والنساء الأفغان، كما تتناول القضايا الأساسية المتعلقة بالجنس، والهوية، والتقاليد، وخاصة دور الموسيقى كعنصر حيوى للبقاء، وذلك من خلال فيلمها القصير وكتابها الذى نشرته تحت عنوان «أفغانستان المحرومة: المرأة والثقافة وطالبان».

× ما مدى اهتمامك بالأوزبك الأفغان وموسيقاهم؟ ما نوع الموسيقى التى درستها؟

يمكن العثور على الإجابة على هذه الأسئلة فى فيلمى الوثائقى القصير «موسيقى الأوزبك فى شمال أفغانستان» وهو فيلم مدته ٣٥ دقيقة (أوزبكى مع ترجمة إلى الإنجليزية، برعاية المجلس الثقافى البريطاني، وتحرير عثمان طفيل) الذى أنتجته فى عام ٢٠١٣ ، هو قصة بقاء ثقافى رواها الموسيقيون وفنانو الأداء الذين قابلتهم عام ٢٠٠٦.

بعد انهيار الاتحاد السوفياتى فى عام ١٩٩٣، كنت محظوظة لتلقى منحة من جامعة أوتو فريدريش فى بامبرج بألمانيا، لنسخ الأغانى الشعبية الأوزبكية من شمال أفغانستان، والتى سجلتها الدكتورة إنجبورج بالدوف فى ١٩٧٧–١٩٧٨، أى قبل الغزو السوفيتي، وهكذا تعاملت مع الأغانى الأوزبكية المسجلة على ستة أشرطة، حيث تم نسخ نصوص كل هذه الأغانى ونشرها فى مجلدين كبيرين بعنوان «مواد عن الأغنية الشعبية لأوزبك أفغانستان» و «سلسلة الإسلام والإثنولوجيا» الذى نشره A. Gehling (Emsdetten) فى عام ١٩٨٩ وكان شرف المشاركة فيهما، ومع ذلك، لم يتم النظر إلى هذه الأغانى الأوزبكية من وجهة نظر موسيقية، رغم أن الأغانى كانت جميلة جدًا، وكان هناك الكثير منها.

وقضت الدكتورة إنجبورج بالدوف، عالمة فقه اللغة وباحثة بارزة متخصصة فى اللغات والثقافات التركية فى العالم، عامين فى شمال أفغانستان متنقلة من قرية إلى أخرى، وتسجل الأغانى وتلتقى بالموسيقيين المحليين. لذلك، فى عام ١٩٩٣ جئت إلى جامعة بامبرج للعمل فى هذا المشروع، لقد تأثرت بشدة بحجم المادة. ففى الوقت الذى تلقيت فيه المنحة، كان الاتحاد السوفيتى قد خسر بالفعل الحرب فى أفغانستان وانسحبت قواته من هناك. نحن مثل كل من عاش فى الاتحاد السوفيتي، نعرف القليل عما كان يحدث فى أفغانستان، لأنه لم تكن هناك تغطية للحرب فى الصحافة عمليًا.

بالطبع، أثناء الحرب، كانت الموسيقى هى أقل ما يقلق هذا البلد، ولهذا كان من المثير لاهتمامي، كعالمة فى الموسيقى، أن أجد كنزًا دفينًا غير معروف من التسجيلات والأغاني، على الرغم من نسخ كلمات الأغاني، إلا أن الأغانى لم تتم دراستها من الناحية الموسيقية، لذلك حاولت المساعدة فى النسخ الموسيقية، كانت هذه نقطة البداية – لأول مرة أصبحت مهتمة بشمال أفغانستان وموسيقاها وثقافتها.

نظرًا لأن عددًا كبيرًا من الأوزبك يعيشون فى شمال أفغانستان (وفقًا للعلماء – تقريبا ٥ ملايين)، يُعتقد أنهم هاجروا هناك بعد ثورة أكتوبر العظمى عام ١٩١٧، لكن فى الواقع عاش الأوزبك هناك منذ قرون، السكان الأوزبكيون موجودون تاريخياً هناك منذ فترة طويلة. إذا التفتت إلى خريطة آسيا الوسطى، فسترى أوزبكستان على الجانب الأيمن، وعلى الجانب الأيسر – الجزء الأوزبكى من أفغانستان، الواقع على الضفة اليسرى لنهر آمو داريا، المعروف تاريخيًا باللاتينية بإسم Oxus، على أى حال عندما عثرت على تسجيلات الأغانى الشعبية القديمة هذه كانت باللغة الأوزبكية، كانت جميعها جميلة للغاية وذات ألحان جذابة.

لقد جمعت إنجبورج بالدوف عددًا كبيرًا من أغانى الحب المصحوبة بآلات موسيقية، وأغانى النساء اليومية مثل التهويدات وأغانى الأعياد وأغانى الأطفال والأغانى الدينية. لقد أصبحت الأنواع المختلفة من الأغانى الأوزبكية من أفغانستان اكتشافًا جديدًا لي، ففى أوزبكستان السوفيتية اختفت العديد من القطع الموسيقية ذات الطراز الشعبى القديم تمامًا بسبب السياسة السوفييتية فى رفض التراث التقليدى «الإقطاعي» القديم. فقط من خلال تسجيلات الأغانى الأوزبكية القديمة يمكن للمرء أن يفهم مدى ثراء كل هذا ، ومدى أهمية أداء الأغانى الأوزبكية القديمة التى تم حفظها على الجانب الأوزبكى من أفغانستان وعلى الضفة الأوزبكية لنهر آمو داريا، وبالاستماع إليهم كان من السهل الشعور بالصلة الوثيقة بين الثقافة الأوزبكية الأفغانية وثقافة البر الرئيسى لأوزبكستان وكلما قمت بنسخها أكثر، زاد اهتمامى بهذه الأغانى وبأداء الموسيقيين الأوزبكيين الأفغان، لقد كان بعض الموسيقيين المشهورين مثل مامات من عشى وسبزى جول وتاج محمد أيقونات حقيقية لعشاق الموسيقى المحليين بأغانيهم الجميلة وأحيانا المرتجلة مثل «Kazkah kuis» التى تم أداؤها ببساطة برفقة دافا (الطبلة الاطارية) أو آلة الدومبرا وفى هذا كانوا قريبين جدًا من ثقافتنا فى آسيا الوسطى، على الرغم من أن شمال أفغانستان لم يتم تمثيله عمليًا فى العلوم السوفيتية وكان غائبًا عن الوعى العام فى «آسيا الوسطى السوفيتية».

لذلك، بالطبع، كان الأمر بالنسبة لى أشبه باكتشاف عالم جديد، والذى دخلت فيه بالصدفة، بفضل المنحة الدراسية من جامعة بامبرج، ومنذ ذلك الحين، تلقيت المزيد من المنح الدراسية لمواصلة بحثى فى هذه المنطقة ومتابعة الثقافة الأفغانية ، حيث لجأت إلى البحث عن بيانات جديدة فى الأرشيفات الشهيرة حول العالم (مؤسسة سميشونيان، ومكتبة الكونجرس، والمكتبة الوطنية الفرنسية، والأرشيف الصوتى للمكتبة البريطانية، وأرشيف التسجيل الصوتى فى فيينا) وعندما ذهبت إلى أرشيف فيينا للتسجيلات الصوتية، المعروف بمجموعته الضخمة من التسجيلات الصوتية، كان هناك الكثير من الاكتشافات الجديدة فى انتظاري، على سبيل المثال، سجلات علماء الإثنوجرافيا النمساويين ماكس كليمبورج وهيرمان ماركوس بريسل، الذين وثقوا معلومات نادرة عن أفغانستان، ومع ذلك، نظرًا لأنهم كانوا يشاركون بشكل أساسى فى دراسة الإثنوجرافيا واللغات، فقد قاموا بأرشفة تسجيلات الأغانى هذه فى فئة «اللغات» وليس فى قسم «الموسيقى»، لذلك ظلوا غير معروفين من الناحية الموسيقية.

لقد وجدت أن أول دليل علمى على التراث الشعبى للأغانى الأوزبكية فى الجزء الشمالى من أفغانستان قد استقبله بالفعل عالم الإثنوجرافيا النمساوى ماكس كليمبورج فى عام ١٩٥٨ وهيرمان ماركوس بريسل فى عامى ١٩٦٧ و ١٩٦٧ وهذا يعنى أن النمسا كانت أول دولة تقوم بدراسة الثقافة المتعددة الأعراق الغنية فى أفغانستان. لقد كان هناك عدد كبير من تسجيلات الأغانى الشعبية التى كانت تنتظر أن يكتشفها علماء الموسيقى، لذا بفضل منحة دراسية نمساوية (بالمناسبة، إنجبورج بالدوف هى أيضًا عالمة نمساوية) أتيحت لى فرصة الوصول إلى هذه الأغانى الأوزبكية القديمة. لاحقًا، كنت محظوظة لتلقى منحًا لهذه المشاريع من الأكاديمية البريطانية والمجلس البريطانى وزيارة واشنطن العاصمة ومكتبة الكونجرس، إلخ.

يبلغ عدد سكان أفغانستان ما يقرب من ٤٠ مليون نسمة، وأفغانستان دولة بها ٤٠ لغة ثانوية، لكن اللغة الرسمية هى الدارى الفارسية (الفارسية – داري). لقد تم إجراء بعض الأبحاث القيمة للغاية حول الموسيقى فى أفغانستان منذ عام ١٩٦٠ فى المدن الأفغانية الرئيسية فى كابول وهيرات بواسطة هيرومى لورين ساكاتا وجون بيلى وفيرونيكا دوبليداى وتبعهم الباحث الأمريكى مارك سلوبين، الذى سافر إلى هناك فى السبعينيات، أى منذ أكثر من ٥٠ عامًا، للبحث فى الموسيقى الشعبية الريفية الإقليمية فى شمال أفغانستان. لكن بعد ذلك، غرقت أفغانستان فى وقت صعب للغاية من ٤٠ عامًا من الحرب المستمرة، مما حال دون إجراء المزيد من الدراسة والبحث.

شجاعة الوقوف فى وجه طالبان

● **أخبرينا من فضلك عن كتابك الجديد «أفغانستان المحرومة: المرأة والثقافة وطالبان». كيف تغيرت المرأة الأفغانية مؤخرًا منذ استيلاء حركة طالبان على السلطة؟ هل يجدون الشجاعة للوقوف فى وجه طالبان؟ هل يتواصلون مع الحركات النسائية العالمية وكيف يفعلون ذلك؟**

– كتابى قيد النشر وفى مراحل الإعداد الأخيرة، أنا ممتنة بشكل خاص للمحرر الدكتور ليستر كروك، ومدير التحرير هاريبت فيلدينج فى Pen and Sword، لإعداد هذا الإصدار.

مع صعود حركة طالبان ٢، قامت النساء الأفغانيات بعدة محاولات للتظاهر فى شوارع المدن، لكن هذه المحاولات تم ايقافها وقمعت بوحشية من قبل الحكومة، فلا تحظى المرأة الأفغانية بفرص حقيقية فى مثل هذه الأنشطة، على الرغم من أن بعضهن طبيبات محترفات أو مذيعات بالتليفزيون ولكن حتى هم فقدوا وظائفهم الآن، أما القلائل المتبقين، الذين حافظوا على وظائفهم، فاضطروا لارتداء الحجاب والتزام الصمت. بينما فى إيران، على سبيل المثال، خرجت مظاهرات نسائية مؤخرًا فى جميع أنحاء البلاد وحول العالم، بينما فشلت احتجاجات النساء الأفغانيات فى النجاح أو الاتحاد مع الحركات النسائية العالمية.

ففى أفغانستان، ليس من الممكن حدوث انتفاضة نسائية على الصعيد الوطني، لأنهن ببساطة ليس لديهن مجتمعات متصلة على نطاق واسع فى جميع أنحاء البلاد، سبب آخر لعدم قدرتهن على الانتفاض ضد الاضطهاد هو أن أفغانستان هى فى الأساس بلد متعدد الأعراق، تتكون الدولة من العديد من المناطق، ولكل منها حكومتها الخاصة، وقواعدها الخاصة ولغتها الخاصة، وبالتالى فإن حواجز اللغة الناشئة والتنوع العرقى تمنعهم بالفعل من الاتحاد، بالنسبة للنساء بشكل خاص، هذه مشكلة حقيقية، كما انه ليس للمرأة الأفغانية الحق فى التصويت، فهى تعيش فى حرب واعتقالات وتقييدات وسجون مستمرة منذ ٤٠ عامًا، لذلك من الصعب عليها تحدى الوضع السياسى الحالي.

عندما بدأت دراسة موسيقى النساء الأفغانيات، كان عليّ أن أبحث فى وضعهن بشكل عام وأن أتعلم بعض الحقائق عنهن، لقد أصبت بالفزع من تاريخهن وحياتهن الصعبة، فيما يلى بعض الإحصائيات: يبلغ معدل الخصوبة الإجمالى فى أفغانستان حوالى خمسة مواليد لكل امرأة، على الرغم من أن معدل وفيات الأطفال هو الأعلى فى العالم. حوالى ١٠٪ من المواليد الجدد يولدون ميتين، مما يعنى أنه حتى الولادة كانت دائما بمثابة اليانصيب بالنسبة للنساء الأفغانيات، عند الولادة لا يعرفون ما إذا كان الطفل سيولد حياً أم ميتاً وما إذا كان سيعيش. حتى الآن، متوسط العمر المتوقع فى البلاد هو ٤٠ عامًا فقط للنساء و ٤٢ عامًا للرجال، كما أن غالبية سكان البلاد هم من الشباب ٤٢٪ منهم تقل أعمارهم عن ١٥ سنة. علاوة على ذلك، فإن ٤٣٪ من الرجال متعلمون ، بينما ١٣٪ فقط من النساء الأفغانيات متعلمات. هذا هو الواقع القاسى لوجودهم، هل يمكنك أن تتخيل أى بلد صعب تعيش فيه الأفغانيات؟! على سبيل المثال، فى عام ٢٠٠٢، كان هناك ما يقدر بنحو ٩٠٠٠٠٠ فتى فى المدرسة، فى حين تم استبعاد النساء والفتيات بشكل شبه كامل من المجتمعات التعليمية والفرص. من الواضح أنه من الصعب للغاية بالنسبة للفتيات والنساء الأفغانيات البقاء على قيد الحياة والحصول على التعليم والعيش حياة طبيعية. فى عام ٢٠١١، كان هناك نحو ٨ ملايين طالب فى أفغانستان ، ثلثهم من النساء. ولكن الآن ، بعد عودة طالبان ٢، تم الإعلان مرة أخرى عن حظر تعليم الإناث ، الأمر الذى ينذر بكارثة للبلاد.

لذلك، نلاحظ أنه قبل عودة طالبان ٢، تم منح النساء بعض الفرص للتعليم، فقد سُمح لهن بممارسة مهن الطب والإعلام وفى مجال العدالة، الآن بعد عودة طالبان ٢، ليس لهؤلاء النساء الحق فى الدراسة والعمل والتواجد كمقدمى برامج تلفزيونية. وهكذا عادت العصور الوسطى مرة أخرى، عندما لم يكن مسموحًا للمرأة بالقيام بالكثير من حيث المشاركة فى الحياة العامة.

راضية سلطانوفا

لولا البرقع كانوا سيصادرون جميع أجهزتى فى كمائن طالبان لكنى أخفيت كل أجهزتى تحت الحجاب

ماهواش وسابزى جول وإلاها سرور أشهر المطربات الأفغانيات وهن أصبحن مضطرات للعيش فى الخارج

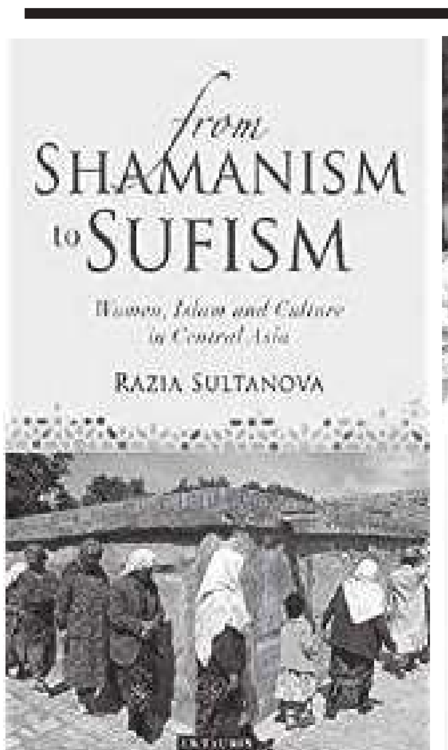

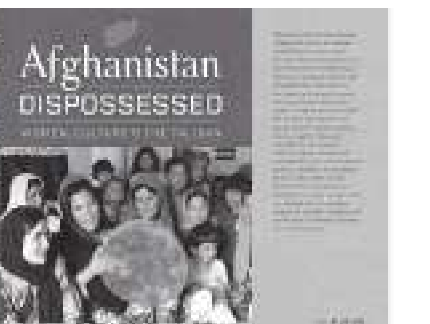

يمكننا أيضًا أن نتحدث عن كيفية معاملة النساء الأفغانيات، خاصة خلال فترة طالبان ١، وفقاً لوثائق أصلية. أستشهد بمرسوم صادر عن (هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) فى نوفمبر ١٩٩٦: «أيتها النساء، لا يجب أن تخرجن من المنزل. وإذا خرجتن فلا يجب أن تكن مثل أولئك الذين يخرجن بالملابس المثيرة للشهوة والمكياج وأن يراك كل رجل كما كان الحال قبل ظهور الإسلام»، كما تم تطبيق نفس المحظورات والقيود على الموسيقى، حيث تم تمرير قانون يحظر الموسيقى المذاعة فى المتاجر والفنادق والمركبات والبرامج الحوارية وشرائط الكاسيت والتسجيلات، أى كل ما كان متاحًا بشكل أو بآخر قبل وصول طالبان ٢.

وهكذا، حتى عام ٢٠٢١ تمتعت النساء ببعض الحرية والفرص الجديدة، بينما أصبح كل شيء الآن محظورًا مرة أخرى، فقد تم حظر الموسيقى والرقص فى حفلات الزفاف، كما أفاد أحمد رشيد، الخبير الأفغانى المشهور عالميًا، أن حركة طالبان حظرت أيضًا جميع أشكال الترفيه، إليكم بعض الاقتباسات من خطاب وزير التعليم الأفغانى الملا محمد حسن أخوند: «بالطبع، نحن نفهم أن الناس بحاجة إلى الترفيه لكن يمكنهم الذهاب إلى الحديقة والنظر إلى الزهور، ومن ذلك سيتعلمون عن الإسلام». وهكذا، وبحسب الملا محمد حسن أخوند، فإن طالبان تعارض الموسيقى لأنها تشتت الذهن وتجهده وتتعارض مع دراسة الإسلام، فكل الموسيقيين الذين حاولوا النجاة خلال حركة طالبان الأولى فروا إلى باكستان، والآن الوضع هو نفسه كل من كانت لديه الإمكانيات غادر البلاد وانتقل إلى الخارج مع عائلاتهم بحثًا عن الأمان.

× نحن نعلم أن العديد من الخبراء يرون أفغانستان جزءًا من آسيا الوسطى. فما الذى يميز المرأة الأفغانية عن نساء آسيا الوسطى؟

– بادئ ذى بدء، قسوة الظروف المعيشية المتمثلة فى الحجاب الذى ترتديه النساء الأفغانيات، البارانيا (البرقع)، أو كما يسميه السكان المحليون، الشادري، هى علامة على حكم طالبان، بالنسبة للنساء المحليات، فإن ارتدائه أمر فظيع كما اكتشفت من خلال التفاعل معهم، منذ اللحظة الأولى للوصول إلى أفغانستان يتعين على كل امرأة أن ترتدى الحجاب، وهو أمر غير معتاد بالنسبة لنا نحن نساء آسيا الوسطى، رغم أننى وجدت على الفور ميزة فى ارتدائه، فقد أتيت إلى أفغانستان للتسجيل والتواصل مع الموسيقيين، لذلك كان معى دائمًا كاميرا فيديو ومسجل صوت وكاميرا.

لقد زاد البرقع من فرص بقائى هناك من خلال المساعدة فى إخفاء المعدات، عندما سافرت مسافات طويلة من كابول إلى مزار شريف مع عائلات الموسيقيين، عند جميع نقاط التفتيش العديدة أثناء رحلتنا، يتم ايقاف السيارة من قبل الجنود ثم يبدأوا بتفتيش كل شيء. بالتأكيد كانا سيصادرون جميع أجهزتى إذا وجدوها. لكنى أخفيت كل أجهزتى تحت الحجاب، وبقيت فى أمان، لذا فى وضعى كان الحجاب هو الطريقة الوحيدة لحمايتى وحماية تسجيلاتي.

لقد كانت الرحلة إلى أفغانستان اكتشافًا بالنسبة لي، على الرغم من أننى قرأت الكثير عن هذا البلد قبل الرحلة. ففى بلدان آسيا الوسطى، حتى قبل مائة عام، عاشت جداتى فى ظروف معيشية مقبولة إلى حد ما، عندما زرت قريتنا فى آسيا الوسطى، رأيت فى المنازل كل أثاث المطبخ الضرورى – الطاولات وأسطح العمل المصممة خصيصًا للطهي، الا أن نساء القرية الأفغانية لا تتمتعن حتى بهذه الكماليات البسيطة – فهن يطبخن حرفيًا الطعام لعائلاتهم على الأرض دون الوصول إلى أى من وسائل الراحة المنزلية.

● **أخبرينا عن المغنيات الرائعات فى أفغانستان اللواتى درستيهن؟**

– من بين أشهر المطربين الأفغان، هناك عدد قليل فقط من النساء، لكن أشهرهن ماهواش، التى ولدت عام ١٩٤٧، وعندما اندلعت الحرب فى البلاد هاجرت إلى كاليفورنيا وهى تعيش الآن هناك، وقد أتيحت لى الفرصة منذ سنوات عديدة للاستمتاع بأدائها هنا فى لندن فى قاعة ألبرت الملكية.

كما كان هناك فنانة أفغانية أوزبكية اسمها سابزى جول (١٩٥٧–٢٠١٧) عندما التقيتها فى عام ٢٠٠٦ ، كانت فى بدايتها، كانت مغنية الزفاف الوحيدة فى شمال أفغانستان، كان لقاءها تجربة لا تُنسى بالنسبة لي. فى أوزبكستان على سبيل المثال، هناك العديد من مغنيات الزفاف ولديهن العديد من الطالبات اللائى يدربنهن، وفى حفلات الزفاف المحلية عادة ما يؤدون مجموعة من أغانى الزفاف النسائية الخاصة، لكن فى أفغانستان، واجه مطربو حفلات الزفاف العديد من الصعوبات ولم يُسمح لهم بتدريب متدربين.

كانت سابزى جول امرأة رائعة والوحيدة التى تؤدى هذا النوع، لحسن الحظ، قام اللواء عبد الرشيد دوستم بدعمها، الجنرال دوستم المولود فى شيبارجان هو من أصل أوزبكي، دافع عن القرى الأوزبكية والتركمان، كانت أرضه يعيش بها الناس فى شمال أفغانستان بأمان أكبر مقارنة بأجزاء أخرى من البلاد.

فى مقابلتى مع سابزى جول كانت فخورة جدًا بأن الجنرال دوستم لا يمكنه إقامة حفل ترفيهى واحد بدونها. كانت تؤدى بانتظام فى حفلات الاستقبال الخاصة به. ومع ذلك عندما سألتها من يمكن أن يكون خليفة لها فى غناء زفاف النساء، أجابت أنه طالما بقيت طالبان فى السلطة فلن يكون لديها طلاب، لا تستطيع المرأة العازبة أو الفتاة المراهقة الوصول إلى معلم من أحد أطراف القرية إلى الطرف الآخر بدون مرافق، وبدون فرصة للالتقاء والدراسة والممارسة، بالطبع لا يمكن أن يتم نقل المعرفة.

ومع ذلك، لا يزال هناك عدد قليل من فنانى البوب الأفغان الجديرين بالملاحظة فى هذه الأيام، لقد سنحت لى الفرصة فى لندن، لمقابلة إلاها سرور التى أطلقت مؤخراً ألبومها المدمج "Songs of Our Mothers"، إلاها مغنية بوب ولدت عام ١٩٨٨ فى إيران، لكن عائلتها انتقلت بعد ذلك إلى موطنها أفغانستان ، لتبدأ كل مشاكلها، فقد أرادت أن تصبح مغنية وظلت تحلم بهذا الأمر لفترة طويلة، لكن تحطمت أحلامها بعدما رفض والدها وطلب منها أن تنسى الأمر، ومع ذلك دخلت مسابقة غناء تلفزيونى باسم مستعار، وفازت لأن صوتها كان قويًا وجميلا، لتصبح بين عشية وضحاها مشهورة فى كابول، لكن ذلك كان خطراً على سلامتها، فاضطرت أن تترك أسرتها على الفور، بعدما أخبر الجيران والدها أنها ظهرت على التلفزيون وفازت بالمسابقة، بطريقة ما تمكنت من الفرار للخارج، التقيت بها فى عام ٢٠١٢ فى لندن وهى تعيش الآن فى سويسرا، هى فتاة متعلمة تعليماً جيداً حاصلة على شهادة من جامعة لندن. شهاداتها حول مدى صعوبة واستحالة أن تكون مغنية أفغانية محترفة لتؤكد مرة أخرى أن الحياة فى أفغانستان اختبار صعب، خاصة بالنسبة للنساء المحترفات.

● **هل يمكنك إخبارنا بالمزيد عن الفيلم الوثائقى الذى صنعته عن رحلتك إلى أفغانستان؟**

– يحتوى فيلمى الوثائقى القصير على بعض التفسيرات عن رحلتى إلى أفغانستان، بعد سنوات قليلة من عودتى علمت أن بعض الموسيقيين الأوزبك الذين قابلتهم فارقوا الحياة. فى ذلك الوقت اعتقدت أننى سجلت هذه التسجيلات بكاميرا الفيديو الصغيرة المحمولة باليد فقط لنفسى وطلابي. ومع ذلك، أدركت لاحقًا أن مقاطع الفيديو الخاصة بى كانت الدليل الوثائقى الوحيد لهؤلاء الموسيقيين الرائعين الذين قابلتهم فى أفغانستان. لحسن الحظ، يمكن تحويل لقطاتى إلى فيلم وثائقى مدته ٣٠ دقيقة لتكريم أساتذة الموسيقى هؤلاء.

فى الفيلم الوثائقي، تستمتع النساء الأفغانيات بالتجمع معًا من أجل العيد (الاحتفال بنهاية شهر رمضان فى الثقافات الإسلامية) وغيرها من المناسبات الدينية، يغنون أغانيهم الدينية، وأغانى النكات والتهويدات، وهذه الأغانى تنقلها النساء إلى الأجيال الشابة، فى الواقع، العيد هو أهم وقت يمكنهم فيه الاجتماع معًا للاحتفال بنهاية رمضان، سترون ثلاثة أجيال من النساء: جدات ، أمهات ، وفتيات صغيرات يغنين الأغانى معًا باللغة الأوزبكية، مما يدل على كيفية بقاء هويتهم الوطنية بفضل اهتمامهم المشترك بالثقافة والتجربة الموسيقية المشتركة. وبالطبع، فإن هذه الأنواع تعنى الكثير للأجيال الشابة التى تسير على خطاهم.

يعتبر الفصل بين الجنسين من أهم العوامل التى تحدد حياة المرأة فى الدولة اليوم، هذه مسألة مهمة جدا فى المجتمع الأفغاني، عندما يولد صبى فى عائلة، يصاحب هذا الحدث احتفال ضخم، لكن الطفلة المولودة حديثًا عادة ما تكون صامتة، فى بعض الأحيان لا يخبرون أى شخص حتى عن ولادة فتاة، لأن هذا لا يعتبر حدثًا بهيجًا. ولا يزال هذا الموقف تجاه الجنس فى المجتمع دون تغيير، لذلك ليس من الغريب أن تكون الأغانى الشعبية التقليدية الأفغانية – التهويدات – موجهة إلى الأولاد، لذا من المثير للاهتمام الاستماع إلى أغانى المطربة الشعبية إلاها سرور التى كتبت العديد من الأغاني، بما فى ذلك التهويدات، التى استبدلت فيها البطل «الصبي» بفتاة، ففى تهويداتها، تكون الفتيات مركز الاهتمام، حيث كتبت أغنية تقول: "يا فتاة، لقد جئت إلى عالم صعب، لكننى أعتقد أنك ستفوزين. معركتك ستكون قتالاً لنفسك، ستحققين كل ما خططت لتحقيقه، وستكونين سعيدة عندما تحققين هدفك أيتها الفتاة".

إنه أمر مؤثر للغاية ويمكنك أن ترى أن هؤلاء النساء اللواتى عانين الكثير من المصاعب وحققن شيئًا ما يعتقدن أنه يمكن اعتبار الموسيقى نوعًا من البركة لجيل جديد من الفتيات. تشجعهم الموسيقى على أن يكونوا أقوياء، وأن يواصلن القتال على أمل أن يصبحن محترفات ويخرجن من هذا البلد ، وهو ما يُنظر إليه على أنه نجاح.

● **غالبًا ما تكون موسيقى بلدان آسيا الوسطى سمة مميزة للمنطقة. كيف برأيك تجذب السياح والأجانب؟ ما نوع الموسيقى التى تسمعيها لأصدقائك عندما تتحدثين عن آسيا الوسطى؟**

– موسيقى آسيا الوسطى قوية جدًا وهى واحدة من أكثر مكونات التراث الثقافى تأثيرًا فى هذه المنطقة. وهى متعددة الأوجه، وهناك العديد من الأنواع التى جاءت من طبقات مختلفة من المجتمع وأزمنة مختلفة من تاريخها. ولكن بصرف النظر عن الموسيقى ، فقد ورثنا العمارة فى العصور الوسطى والشعر الكلاسيكى والفنون البصرية والحرف اليدوية والعديد من التقاليد الأخرى.

أعزف على آلة الدوتار الأوزبكية، وهى الآلة المفضلة لدي، وأتعلم الآن دومبرا الكازاخستانية فهناك العديد من أوجه التشابه بين هاتين الألتين الوتريتين الرئيسيتين، على الرغم من بعض الاختلافات البصرية، كما أنه هناك أنواع ملحمية تشكل جزءًا كبيرًا من ثقافة كازاخستان بالإضافة إلى التراث الأوزبكي، لكننا جميعًا ننتمى إلى العالم الناطق باللغة التركية لذا فهى تجعلنا واحدًا. تاريخياً، فى آسيا الوسطى، كان الأوزبك والتركمان والطاجيك شعباً مستقراً، فى حين أن الكازاخيين والقرغيز هم من البدو الرحل، لكن فى عصرنا، كل شيء مختلط إلى حد كبير، أعتقد أن هذا يفسر العديد من الزيجات المختلطة بين كل هذه المجموعات العرقية والجنسيات، أعتقد أن لدينا قواسم مشتركة أكثر من الاختلافات. تجذب الموسيقى، إلى جانب التراث التقليدى المحلى الآخر، سنويًا مئات الآلاف من السياح والزوار الأجانب من جميع أنحاء العالم.

● **هل درست قضايا النوع الاجتماعى فى هذه البلدان؟ إذا كان الأمر كذلك، هل يمكنك توضيح ما هو الفصل بين الجنسين، وكيف تختلف النساء فى هذه البلدان المحددة عن بعضهن البعض؟ ما الذى يميز النساء فى آسيا الوسطى الآن وأثناء الاتحاد السوفياتي؟**

– لقد درست الجنس فى الموسيقى بأكثر الطرق تفصيلاً، كنت أول باحث يقوم بتطوير دورة جديدة حول النوع والموسيقى من الصفر أكاديميا فى المملكة المتحدة وقمت بتدريس الدورة من ٢٠٠٤–٢٠٠٦ فى SOAS، جامعة لندن.

فى الاتحاد السوفيتي، لم يكن النوع الاجتماعى على نفس القدر من الأهمية فى الغرب، فى النظام السوفياتي، كانت قضية المساواة بين الجنسين واحدة من القضايا الرئيسية فى السياسة، وطالبت الدولة بأن تتلقى النساء التعليم والعمل على قدم المساواة مع الرجال. فى التاريخ الحديث لآسيا الوسطى، كانت هناك سيدة رئيسة فى قيرغيزستان – روزا أوتونباييفا (فى ٢٠١٠–٢٠١١)، كما ان هناك عدد كبير من الوزيرات فى كازاخستان وأوزبكستان.

أتذكر من تجربتى الشخصية، عندما جئت إلى أوروبا، عملت فى عدة جامعات، ومازلت أعمل حاليًا فى جامعة كامبريدج فى المملكة المتحدة، بالنظر إلى متوسط تكوين الجنس فى الأقسام المختلفة، سترى أن غالبية المعلمين هم من الرجال، وجزء صغير فقط من النساء. سألنى زملائى من المملكة المتحدة هذا السؤال أيضًا: «كم عدد النساء فى كليتك عندما كنت تعملين فى بلدك؟». وأجبت أن الرقم كان متماثلا نسبيًا – من خمسين إلى خمسين. فوجئوا وسألوا: «كيف وجدت هؤلاء النساء وقتًا للأطفال وللأسرة ؟!» أجبت بطريقة ما نجحت نساؤنا السوفياتية فى إيجاد الوقت لكل شيء.

أعتقد أنه فى القرن الحادى والعشرين المليء بالتحديات، ستتاح الفرصة لمزيد من النساء فى آسيا الوسطى للارتقاء فى السلم الوظيفى حتى تُسمع أصواتهن الفردية ويصبحن معروفات ليس فقط فى الموسيقى، ولكن أيضًا كأعضاء فاعلين فى السياسة المحلية والاجتماعية. وأتمنى حقًا أن يكون لدى النساء الأفغانيات على وجه الخصوص أياما أكثر إشراقا فى المستقبل.

ترجمة: مروة أحمد عبد العليم

المشهد
العدد 327 – السنة الحادية عشرة- الأحد 15 يناير 2023م – 22 جمادى الآخر 1444هـ

قالت العرب

كنتُ أرعى حضورَك في سفح أغنية لم تُغَنّ / وأوحي لغيبوبة العشب
أن تتهتّك / زلفى إليكَ / و أفتحُ شمبانيا لوداع الشتاء العجوز / و شمبانيا
لهبوب الشتاء الفتيّ / وأسقيهما نخبَنا.. / لم تكوني هنا".
طاهر رياض – شاعر أردني معاصر

موسم هجرة المدربين من الأندية الجماهيرية

تستمر سلسلة إقالة المدربين من الأندية المصرية وبصفة خاصة الجماهيرية ، والتى تعتبر جزءًا أساسيًا من وجدان عشاق الكرة المصرية، حيث أصبح من المستحيل أن يستمر مدرب مع فريق موسمًا كاملًا إلى نهايته.

وانتشرت فى الفترة الأخيرة ظاهرة رحيل مدربين من الأندية الجماهيرية الفقيرة إلى أندية الشركات والأندية المتوسطة نظرًا لتوافر الإمكانيات والأموال. وغالبا ما يأتى ذلك بعد تقديم المدرب لمستوى متميز وظهوره بشكل جيد وتحقيقه لنتائج إيجابية مع الأندية الشعبية.

حاولت المشهد البحث فى هذا الأمر مع عدد من خبراء الكرة المصرية ومعرفة الأسباب هل جاءت للأغراءات المالية أم لسبب آخر؟

قبل خطوة الرحيل اتخذ المدربون خطوة التهديد كمسلك للهروب ، سواء كانت المبرارات صحيحة أو ليست كذلك، فتمثلت أسباب الرحيل الأولى فى نقص الموارد والأموال وغياب الدعم للمدرب واللاعبين. هذا ما عايشناه فى الفترة الماضية مع بابافاسيليو المدير الفنى السابق لغزل المحلة وأيمن الرمادى المدير الفنى الحالى لنادى أسوان.

وكان نادى غزل المحلة قد أعلن الأسبوع الماضي، إقالة المدير الفنى اليونانى بابافاسيليو رغم نتائجه الإيجابية مع الفريق حتى ولو كانت تراجعت مؤخرًا.

بدأ بابافاسيليو مشواره فى الدورى الممتاز بانطلاقة هى الأفضل للفريق بعدما حقق التعادل فى المباراة الأولى للفريق أمام المقاولين العرب ثم حقق الفوز فى ثلاث مباريات متتالية على الإسماعيلى وأسوان والاتحاد ليحتل الفريق الصدارة بعد الأسبوع الرابع من الدورى الممتاز.

وحصد الفريق مع المدرب ١٨ نقطة فى ١٢ مباراة خاضها زعيم الفلاحين فى الدورى المصرى الممتاز هذا الموسم ٢٠٢٣/٢٠٢٢. ويحتل المركز السابع فى ترتيب المسابقة.

وأصدر فريق غزل المحلة بيانا رسميا عبر حساباته الشخصية بمواقع التواصل الاجتماعى شرح فيه تفاصيل الإقالة وتعيين الجهاز الفنى الجديد.

وجاء نص البيان كالتالي: «فى إطار من المحبة والود والتعاون، أنهى مجلس إدارة شركة الكرة بنادى غزل المحلة، برئاسة أسامة خليل، العلاقة التعاقدية مع بابافاسيليو، المدير الفنى للفريق الأول لكرة القدم بالنادي، بعد أن تفهَّم الطرفان وجهات النَّظر فيما بينهما، حيث أكد بابافاسيليو للمجلس أن لديه ظروفا أقوى من الاستمرار مع الفريق فى المرحلة المقبلة، وأن هذه الظروف خاصة جداً، ولا يرغب فى الإعلان عنها، وهو ما وافق عليه مجلس الإدارة بالإجماع، نظراً للعلاقات الطيبة التى تربط الطرفين».

من جانبه أكد المدير الفنى احترامه وتقديره وحبه للنادى ولجماهيره، ووجه الشكر لمجلس الإدارة على حُسن التعاون، والتفهم الواضح لظروفه الخاصة. وأكد بابافاسيليو على أنه لن يكون بعيداً عن النادي، وسيتابع كل صغيرة وكبيرة، وسيكون جاهزا بالمشورة مع الجهاز الفنى الجديد ومجلس الإدارة المحترم.

كما قرر مجلس إدارة شركة الكرة بغزل المحلة تعيين عبد الباقى جمال مديرًا فنيًا للفريق، ومنحه صلاحية اختيار المدرب العام فى جهازه الفني، وتعيين وائل شكر مديرا للكرة، والإبقاء على باقى أعضاء الجهاز الفنى المعاون، بمن فيهم «نيكولاس»، محلل الأداء، الذى رحب بالبقاء ضمن الجهاز الفني.

وقدم فريق غزل المحلة أداء مميز تحت قيادة بابافاسيليو، ولكن فى الفترة الأخيرة، سيطرت النتائج السلبية على الفريق ، إذ لم يحقق الفوز فى آخر ٦ مباريات له بالدوري، فقد خسر ٤ مباريات منها وتعادل فى مواجهتين.

وفى أول ١٢ مباراة للمسابقة قاد بابافاسيلو غزل المحلة لتحقيق الفوز فى ٥ لقاءات والتعادل فى ٣ مباريات وهُزم فى ٤ لقاءات، وسجل معه الفريق ١١ هدفًا واستقبل ١٥ هدفًا، واستمر فى قيادة الفريق ١١٧ يومًا.

وعقب مباراة الاتحاد السكندرى فى الدوري، أعلن المدرب اليونانى رحيله عن تدريب الفريق بسبب أزمة مالية بينه وبين إدارة النادى المحلاوي، انتهت بعودته مجددًا لقيادة الفريق لتستقبله جماهير المحلة محمولاً على الأعناق قبل مباراة الأهلى بالدوري. ثم تلقى الهزيمة الأولى فى الدورى من النادى الأهلى بهدفين مقابل لاشئ، قبل أن يعود للفوز على الداخلية وطلائع الجيش لتحمله جماهير المحلة مجددًا على الأعناق بعد الفوز على الأخير.

وبدأت نتائج الفريق فى التراجع بعد الهزيمة من فيوتشر بهدف مقابل لاشئ، والتعادل مع فاركو وسموحة ثم الهزيمة من سيراميكا كليوباترا بثلاثة أهداف والهزيمة من بيراميدز برباعية ليعلن بعدها نادى غزل المحلة رحيل المدير الفنى للفريق وتعيين عبد الباقى جمال بديلا له لقيادة الفريق فى الدورى الممتاز.

وكشف اليونانى بابافاسيليو عن الأزمات التى يعانى منها الفريق والذى أكد أنها السبب الأول لتراجع نتائجه فى الدورى الممتاز. وقال بابافاسيليو فى تصريحات بعد الخسارة أمام بيراميدز بنتيجة ٤-٠: جعلنا مصر كلها تتحدث عن هذا الفريق بسبب النتائج والأداء الذى حققناه منذ بداية الموسم. وأضاف: «هناك مشاكل كثيرة فى النادى وأنا حذرت الإدارة فيما يخص مستحقات اللاعبين وكنت دائما أحاول إيجاد الحلول ولكن اللاعبين لا يفكرون فى الكرة، لدينا عروض رسمية لعدد من اللاعبين وهم يرغبون فى الرحيل، والنتائج السلبية الأخيرة جاءت لأسباب غير كروية، إذا لم أجد ضمانات أو وعود من مجلس الإدارة لحل هذه المشاكل ، وبدون عودة الاستقرار لن يكون هناك سبب لوجودى مع الفريق». وأختتم قائلا: «أنا مدرب محترف وأريد أن أعمل مع فريق فى أجواء صحية حتى نستطيع النجاح وليس فريقا مليئا بالأزمات.

ظروف أسوان المالية

يعيش نفس القصة بالأحداث كاملة أيمن الرمادى المدير الفنى لنادى أسوان حاليًا ، وبالرغم من لمعان أسم الرمادى مؤخرًا بسبب نتائجه مع الفريق الا أنه هدد أكثر من مرة بالرحيل عن الفريق بسبب الازمة المالية وتأخر صرف مرتبات اللاعبين.

وهدد أيمن الرمادى بالرحيل عن منصبه عقب مباراة فريقه أمام حرس الحدود والتى كانت مساء الجمعة الماضى ضمن الجولة الثالثة عشرة من الدورى الممتاز.

وقال الرمادى إن تنفيذه للقرار يتوقف على استجابة مجلس الإدارة، برئاسة المستشار الشافعى صالح، لمطالبه بتوفير الإمكانيات المالية للاعبين وتحمل تكاليف علاج عبد العزيز موسى، لاعب الفريق الذى تعرض للإصابة خلال مباراة الزمالك التى فاز بها أسوان بنتيجة ٢-١.

ووضع أيمن الرمادى أربعة شروط من أجل الاستمرار فى منصبه وعدم الرحيل، على رأسها صرف المستحقات المالية المتأخرة للاعبين، فضلا عن علاج عبد العزيز موسى، بالإضافة إلى زيادة الوجبات الغذائية للاعبين داخل المعسكر، حيث تخصص إدارة النادى وجبتين لكل لاعب خلال اليوم الواحد فى المعسكرات، توفيرا للنفقات، لكن المدير الفنى رفض الموافقة على تخصيص وجبتين فقط لكل لاعب.

وطالب الرمادى بضرورة حل أزمة السفر المتكرر للاعبين، سواء بصرف بدلات سفر لكل لاعب، إلى جانب تخصيص ميزانية مالية لخضوع كل لاعب للاستشفاء حتى لا يتعرضوا للإجهاد، مما يؤثر سلبا عليهم فى المباريات.

وتمسك أيمن الرمادى بتخصيص ميزانية مالية قدرها مليونى جنيه من أجل التعاقد مع لاعبين جدد خلال فترة الانتقالات الشتوية فى يناير المقبل، من أجل تدعيم صفوف الفريق فى مراكز مختلفة، بينها حراسة المرمى ورأس الحربة ومركز الوسط المهاجم.

وانتشر اسم الرمادى بصورة كبيرة خاصة بعد فوزه على الزمالك هذا الموسم بنتيجة ١/٢، وكانت هذه الهزيمة هى الأولى للزمالك خلال الموسم الحالى والفوز الثالث على التوالى لأسوان.

وتساءل الجميع عن اسم الرمادى وأخذ رواد السوشيال ميديا الموضوع من زاوية أن النجاح لا يقترن أبدا بالأسماء الكبيرة وإنما بالفكرة والعمل والتنفيذ ، وها هو الرمادى لم يكن يعرفه أحد فى الدورى المصرى قبل توليه قيادة أسوان برغم من تألقه بالإمارات.

وكان الرمادى قد وصل من الإمارات لقيادة أسوان فى منتصف شهر نوفمبر الماضى خلفا لربيع ياسين الذى تمت إقالته.

ورغم بداية الفريق الباهتة ببطولة الدوري، وتوديع بطولة كأس رابطة المحترفين المصرية أمام غزل المحلة وخسارة أول مباراة فى الدورى ضد فيوتشر، إلا أنه عاد ليقدم أداء طيبا فى المباريات التالية على يد الرمادي.

فقد تولى الرمادى قيادة الفريق وهو بلا أى نقطة، وكان فى المركز الأخير بالجدول، ليقود الفريق إلى تحقيق خمسة انتصارات من أصل ثمانية، مقابل ثلاث هزائم، ويحتل حاليا المركز السابع فى ترتيب الدورى المصري.

وأقال نادى أسوان مدربه السابق ربيع ياسين بعد خسارة أول ٣ جولات بالدورى بنتيجة ٠-١ أمام الاتحاد السكندرى وغزل المحلة فى أسوان والأهلى فى القاهرة.

ويبلغ الرمادى من العمر ٥٧ عاما، ورغم بداية مسيرته التدريبية فى مصر، غير أنه نال شهرته فى الإمارات.

ولعب الرمادى لعدد من الأندية المصرية، أبرزها أسوان والمقاولين العرب والقناة، لكنه تعرض للإصابة بقطع فى الرباط الصليبى عام ١٩٩١، مما تسبَّب فى اعتزاله كرة القدم. واتجه الرمادى بعد الاعتزال للحصول على العديد من الشهادات التدريبية المعتمدة لصقل موهبته التدريبية، ومن بينها الرخصة التدريبية «UEFA Pro"، التى تؤهله للتدريب على المستوى الاحترافي. وكانت بدايته فى التدريب مع المراحل السنية المختلفة فى مصر ومع فريق الشرقية للدخان فى دورى الدرجة الثانية. ثم انتقل بعد ذلك إلى الإمارات عام ١٩٩٩ وحقق العديد من الإنجازات، وكانت بدايته مع المراحل السنية الأصغر.

وتولى الرمادى تدريب قطاع الناشئين بنادى الشعب الإماراتى منذ عشرين عامًا، ثم تخصَّص بعدها فى قيادة أندية الدرجة الأولى لدورى المحترفين، حيث حقق ذلك ٣ مرات مع دبي، ومرة واحدة مع كل من الظفرة واتحاد كلباء والشارقة وعجمان. وبدأ الرمادى فى دورى الدرجة الأولى مع نادى دبي، ثم نجح فى تصعيده من دورى الدرجة الثانية وحقق معه نتائج رائعة فى الكأس حيث وصل لربع نهائى المسابقة لأول مرة فى تاريخ النادي.

وكانت أبرز تجربة لصاحب الـ٥٧ عاما رفقة نادى عجمان، حيث تولى تدريب الفريق فى يوليو ٢٠١٦، وظل مع الفريق ٥ مواسم متتالية بعد الصعود إلى دورى المحترفين، وحقق معه نتائج ممتازة بالوصول للمركز السابع. وقدم المدرب المخضرم مستويات مميزة مع الفريق، قبل أن يرحل بعد تمكنه من الإبقاء على عجمان بين الكبار فى الجولة الختامية لموسم ٢٠٢٠-٢٠٢١.

وبخلاف تجاربه الإماراتية، خاض الرمادى تجربة قصيرة مع نادى ظفار العمانى فى عام ٢٠١١، ليصل فى ٢٠٢٢ لقيادة زهرة الجنوب ويحقق معه نتائج جيدة ترفع من أسم الفريق واللاعبين ، والتى كان من أهم أسبابها إضافة إلى الرمادى مدير التعاقدات السابق للنادى الأهلى ولأسوان الكبير هيثم عرابى والذى يوضح للمشهد بالتفصيل وجهة نظره فى رحيل المدربين إلى أندية الشركات أو إلى أندية الوسط بعد تألقهم مع الأندية الجماهيرية الصغيرة وهل هذه لأسباب ونقص الأموال ام كلها شعارات زائفة وإنما يعتبر ذلك هروبًا لنادى أكبر ولحصد أموال أكثر ؟

إدارات لا تصبر

علق هيثم عرابى على الأمر قائلا: بالتأكيد تختلف ظروف الأندية من ناد إلى آخر ولكن من الواضح جدا أن الإدارات لا تصبر ابدًا ولا تعطى فرصة.

وأضاف : بالتأكيد لا يوجد مدرب يتولى قيادة أى ناد ولا يعرف إمكانياته قبلها، وعلى سبيل المثال الجميعً يعرف الإمكانيات المتاحة بالنادى الأهلى وهكذا أسوان أو الزمالك أو غيرها يعنى بالبلدي»كل مدرب عارف هو رايح على إيه وجاى على إيه».

وتابع : المشكلة السائدة والأساسية من وجهة نظرى أن الإدارة لا تصبر ولا تعطى الوقت ومعظم الإدارات للأندية المصرية بعيدة جدا عن الإدارات الرياضية وهذا هو الواضح والظاهر.

واستكمل : «إننا نعيش اليوم فى الدورى وفى الكرة المصرية بفكرة واحدة فقط وفقرة اساسية وهى الكراسى الموسيقية المتبدلة، أسماء واضحة وظاهرة يمتلكون القيادة، نجد المدير الفنى لفريق سموحة ، على سبيل يترك سموحة ويذهب إلى الاتحاد ويذهب مدرب الاتحاد إلى المصرى ويذهب مدرب المصرى إلى الاتحاد وهكذا فقرات تبادلية لا آكثر.

وبمناسبة الحديث عن الأزمات المالية لنادى أسوان رفض عرابى الحديث عن هذا الأمر أو ذكر اسم أسوان عمومًا وذلك لتركه للفريق الفترة الماضية معللا لا أريد ذكر أسم أسوان فى جملة مفيدة حتى لا تثور السوشيال ميديا ويفهم الجميع التصريحات بطريقة خاطئة.

سمير كمونة نجم الأهلى ومنتخب مصر السابق يرى أن هذا السلوك يكون لظروف معينة أساسها الأزمات المالية ، فهناك بعض الأندية لا تدفع المرتبات لبعض اللاعبين مثلا ، ولذلك يضطر المدربون إلى ترك الفرق ، إضافة إلى أن المستوى المميز الذى يظهر به المدرب ويقدمه يجلب له عروضا فى مكان أكبر ، وهذه فكرة عمله فى الأساس.

يضيف كمونة: المدرب أيضا يريد أن يعمل فى مكان أكبر ويحقق أحلامه ، هو شخص فى النهاية ويريد النجاح، وضعف الإمكانيات المالية هى السبب الأول لرحيل المدرب عن ناديه ولمشاكل اللاعبين مع الأندية ، فتأخر المستحقات المالية سبب كاف لاتجاه المدرب إلى نادى آخر.

ويتابع سمير كمونة: مشكلة أسوان هى مشكلة غزل المحلة حتى لو كانت تختلف فى جوهرها ، ومشكلة أزمة المحلة فى الدولار وكيفية التعاقد مع مدربين أجانب. ويضيف أن الأزمة تتجاوز المدربين إلى انتقال بعض اللاعبين مثل أحمد الشيخ الذى انتقل من صفوف غزل المحلة إلى سموحة ، وهو لاعب متميز وكبير جدا يمكن أن يحقق الكثير وأنا متأكد أنه سيفيد سموحة.

محافظة على النجاح

المدرب الكبير لزعيم الفلاحين السابق عبدالحميد بسيونى يقول: المشكلة أن المدربين يبدأون بتدريب نادى وهم غير معروفين ولم يسمع أحد بهم قبلها ويخوضوا تجربة وينجحوا فى البداية ، ثم يحافظون على نجاحهم فترة وبعدها تأتى إليهم عروض من أندية أكبر فيتجهون إلى الأموال الأكبر.

وتابع: طبعا فى بعض الأوقات يكون هناك جانب حقيقى من إنسانية المدرب ، لأن مشاكل اللاعبين مع الأندية ستعوق عمل المدرب داخل أرضية الملعب من حيث تركيز اللاعب وحالته النفسية ، ولكن بابافاسيليو مثلا عرضت عليه أندية أكبر من المحلة وهنا ترك النادى وغادر بالفعل ليبحث عن أندية أخرى.

وأضاف بسيوني: كل تصريحات بابافاسيليو بخصوص الأزمة المالية كاذبة، ولا توجد أى أزمات مالية بالمحلة ، وعندما تركت تدريب النادى لم يقصروا معى أبدا فى الماليات ، ولكن كانت المشكلة فى رئيس النادى القديم أنه أخل بالاتفاق معي.

وأوضح بسيونى أن مسألة الكابتن أيمن الرمادى تختلف بكل تأكيد وله كل العذر لأن إمكانات النادى لا تسمح. وأضاف: المدرب فى المقام الأول يكون محتاجا إلى نادى أكبر وبدون أزمات مالية أو أى معوقات تعوق عمله داخل الفريق ، ويكون محتاجا إلى استقرار أكبر.

الكابتن معتز اينو نجم النادى الأهلى ومنتخب مصر يعلق على الأمر بالقول: بالنسبة للمدربين الذين يتجهون إلى الأندية الجماهيرية الصغيرة وبعدها يطالبون بإمكانيات أكبر بعد تقديمهم لمستوى مميز ثم يطالبون بالرحيل ، وهذا فى الغالب يكون لعروض أكبر وأفضل وهذا هو السائد، أما مسألة أزمات اللاعبين فمسألة غريبة وتمثل مخرجا للبحث عن نادى آخر، ولكن فى بعض الأوقات وهذا نادر طبعا يكون كلامهم حقيقيا ، وهى أزمات مستحقات اللاعبين.

وأضاف : أتمنى طبعا كل التوفيق للأندية الجماهيرية وأتمنى أن تتصدر المسابقة التى خلقت فى الأساس من أجلها ولم تكن يومًا للأموال.

تحقيق – رانيا عبدالوهاب

المشاكل المالية فى غزل المحلة وأسوان سبب رئيسى للرحيل

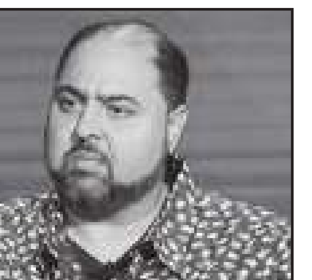

هيثم عرابى: الإدارات لا تصبر ابدًا ولا تعطى فرصة

سمير كمونة: المستوى المميز للمدرب يجلب له عروضا أكبر

عبدالحميد بسيوني: تصريحات بابافاسيليو بخصوص الأزمة المالية كاذبة

معتز إينو: يطالبون بإمكانيات أكبر بعد تقديمهم لمستوى مميز ثم يختارون الرحيل

ريعو يقلب الطاولة: من هو اللاعب الحالى بالزمالك الذى منعه من دخول النادى

تصدر محمد ريعو لاعب الاتحاد السكندرى السابق التريند عبر منصات التواصل الإجتماعى فى الأيام الماضية بعد تصريحات نارية أكد خلالها أن لاعبا موجود ضمن فريق الزمالك حتى الآن منعه من اللعب مع الأبيض عام ٢٠٠٩.

وقال ريعو فى تصريحات تلفزيونية: كنت قريبا من الانضمام للزمالك ، لكن لاعبا مازال يلعب حتى الآن منعنى من دخول النادي.

وأكمل قائلا: اللاعب كان يتحكم فى الإدارة وقتها، وأقسم لى بأننى لن أدخل الزمالك قبل دفع ٥٠ ألف جنيه، وتسبب فى حرمانى من اللعب للفريق.

وثارت جماهير السوشيال ميديا وخصوصًا جماهير النادى الاهلى وذلك لاعتقادهم بإن اللاعب هو محمود عبدالرازق شيكابالا بدون محاولة للتأكد منهم ولكن هناك دلالات واضحة انه من الممكن ان يكون اللاعب المقصود هو شيكابالا خصوصًا انه لا يوجد لاعب سوى شيكا أو عبدالشافى الموجود فى الفريق الى الان.

ولم يخرج أى تصريح من نادى الزمالك أو أحد اللاعبين يرد على تصريحات ريعو سواء بالنفى أو التأكيد وتجاهلت الجماهير الزملكوية تصريحات ريعو بينما هاجمه البعض متهمين إياه أنه لا يهمه سوى أن يظهر على الساحة ويشعل التريند.

وعاد ريعو بعدها يؤكد فى تصريحات خاصة أنه لا يبحث أبدا عن التريند كما اتهمه البعض بعد تصريحاته الاخيرة.

وقال ريعو إنه تعرض للهجوم بسبب تصريحاته الأخيرة، مؤضحًا أنه لم يقصد بها الشهرة او شيء من هذا القبيل، لكن الأمر لا يتعدى كونه جاء عن طريق الصدفة، «الموضوع صعب وأنا بعيد حاليا عن المجال، وفكره البرنامج أتت لأننى كنت ألعب كرة ولى وضعى وافتخر بهذا وتحدثت عن الموقف بتلقائية».

وتابع:» البعض اتهمنى اننى اتحدث رغبة منى لكى أكون «تريند» وهذا أمر غير حقيقي، وأنا بعيد عن السوشيال ميديا منذ ٨ أعوام ولا اظهر فى اى برامج، وكنت أرفض الظهور والموضوع اتى بالصدفة والشخص الذى تحدثت عنه يعلم أنه حدث، ولم يكن هناك ترتيب لهذا الموضوع، لدى اسرة وبيت ولا ارغب فى ان يتعرض لى احد بتجريح، لان الأمر اصبح غير محتمل لذلك قررت الخروج والرد على من يهاجمنى بسبب التصريحات».

تقرير – رانيا عبدالوهاب

المشهد
تصدر عن شركة «المشهد» للصحافة والطباعة والنشر «ش.م.م»
مدير التحرير
محمد موسى
الإخراج الصحفى للعدد:
هالة سعيد عباس
الإدارة والإعلانات والاشتراكات
٤٥ ش عبدالرحيم صبرى. الدقى
ت: ٠١٠١٩٤٤٤٠٠٣ـ ٣٧٧٢٢٠٣٥
فاكس: ٣٧٧٢٢٠٣٤
البريد الإلكترونى
almash_had@yahoo.com
التوزيع والاشتراكات: مؤسسة الأهرام
العدد 327 – السنة الحادية عشرة- الأحد 15 يناير 2023م – 22 جمادى الآخر 1444هـ

عجاجيات

بقلم: عبدالغنى عجاج

هرى حول الرأى العام

كلام الناس لا بيقدم ولا يأخّر .. كلام الناس ملامة وغيرة مش أكتر...هكذا ترى كلمات اغنية الفنان جورج وسوف ... والحقيقة ان كلام الناس مهم جدا ...فكلام الناس فى مدرجات كرة القدم يغير مدربين ويدفعهم للتخلى عن مواقعهم اذا ما ساءت نتائج فرقهم .. وكلام الناس فى المدرجات عندما يتحول الى هتافات يضع بعض اللاعبين على القمة مثلما تفعل جماهير ليفربول الانجليزى عندما تغنى وتهتف باسم محمد صلاح...وكلام الناس فى مدرجات الملاعب الرياضية هو ما يدفع بعض اللاعبين الى الاعتزال وترك الملاعب قبل ان يتعرضوا للطرد من حشود الناس الغاضبة..

الرأى العام يكون حول الموضوعات التى تهم أكبر عدد من الناس

واذا تعددت شكاوى سكان عمارة وتوافقت آراؤهم على سوء الخدمات التى يقدمها مأمور العمارة او رئيس مجلس إدارتها تكون النتيجة إما حدوث صراع فى العمارة أو أن يترك رئيس مجلس الإدارة مكانه لآخر يستطيع أن يتفاهم بصورة أفضل مع السكان ويوفر لهم الخدمات التى يحتاجونها.

وفى العلوم السياسية وكما درسنا فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية فإن كلام الناس يمكن وصفه ب (الرأى العام) والرأى العام يعنى أنه يعبر عن آراء أكبر عدد من الناس أو لنقل الأغلبية ولو كانت نسبية.. والرأى العام يكون حول الموضوعات التى تهم أكبر عدد من الناس ، فلا يوجد رأى عام حول أيهما أجمل الشمس أم القمر ، ولا يوجد رأى عام حول اقتناء الألماس أم الذهب .. فالرأى العام من صفاته أنه يمس حياة أكبر عدد من الناس ولذلك نجد كلام الناس أو (الرأى العام) حول كفاءة الخدمات الصحية وجودة التعليم وأسعار السلع والخدمات التى لا يمكن الاستغناء عنها ولا تعتبر بحال من الكماليات ، فببساطة لا يوجد رأى عام حول سعر السيمون فاميه أو الكافيار أو الكاجو ولكن يوجد رأى عام حول سعر السمك البلطى والمكرونة والزيت والأرز والسكر والشاى.

ومن صفات الرأى العام كما وصفه أستاذ العلوم السياسية والمفكر الراحل حامد ربيع أنه مثل المرأة اللعوب ، فلا ضمانة لاستمرار الرأى العام كما هو دون تغيير لفترة زمنية ما ، فالرأى العام الذى يصفق لمدرب اليوم قد يسبه بعد ايام ويطالب برحيله.

كما علمنا الدكتور حامد ربيع أن احترام كلام الناس (الشعب) أو(الرأى العام) يعد من دلائل وعلامات أى نظام ديمقراطى.. وأن النظام الديمقراطى يهتم جدا بدراسات الرأى العام واتجاهات الرأى العام بل ويغير من سياساته استجابة لكلام الناس أو الشعب أو الرأى العام.

وحكى لى أساتذتى فى الهيئة العامة للاستعلامات من الرعيل الأول أن الزعيم الراحل جمال عبدالناصر كان يهتم جدا بتقارير الرأى العام التى تعدها الهيئة من خلال مراكز ومجمعات الإعلام الداخلى المنتشرة فى كل أنحاء مصر.. بل وأكدوا أن ناصر رحمه الله كان يطلب من رئيس هيئة الاستعلامات موافاته بتقرير عن نكات الناس كما هى دون تعديل أو تخفيف حتى لو كانت تتعلق به هو شخصيا.

الخلاصة مع الاعتذار لكلام الأغانى يمكن القول أن كلام الناس يقدم ويؤخر، وكلام الناس نقد وتوجيه ونصح.. كلام الناس أو كلام الشعب أو الرأى العام يجب التعامل معه بكل الجدية والاحترام والاهتمام ، بل ويجب عدم السخرية من كلام الناس أو توجهات الرأى العام.

محطات

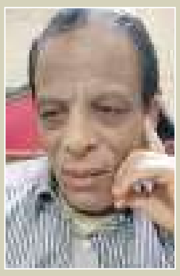

بقلم: بهاء الدين حسن

إلا أرجل الفراخ!

● على الرغم من أن أرجل الفراخ ، ترتبط بأنها جالبة للقاذورات ، إلا أن سنة ٢٠٢٣ ، هى السنة التى أصبح فيها لأرجل الفراخ، قيمة ومركزا وتسعيرة ميري!

● فما الذى جعلها تدرَج ضمن قائمة المأكولات ، وتصبح لها تسعيرة ، مع أن الفرارجية لم يقوموا بتلبيسها كوتشى بينور ، أو شراب قطونيل !؟

● فإذا قارننا بين أرجل الفراخ وأرجل العجول مثلا ، فسنجد أن أرجل العجول يتم عمل فتة كوارع عليها، لما فيها من قيمة غذائية، فما الذى يتم عمله على أرجل الفراخ ، ومدى الاستفادة الغذائية منها !؟

سمعت الشعب يهتف «عاوزين ناكل هم هم هم »

● حتى أرجل البنى آدمين ذُكرت فى مواضع كثيرة فرجل الأنثى مثلا ، ارتبطت بالخلخال ، ورجل الرجل ارتبطت بالشلوت ، فما الذى ارتبطت به أرجل الفراخ غير القحط والجوع ، حتى يستيقظ الشعب على أن كيلو أرجل الفراخ يباع بعشرين جنيها !؟

● فهل ينتظر الشعب بعد ذلك من الحكومة، أن تجعله يأكل الطوب والزلط والرمل ، مع إن هذا قد يستلزم المواطن. فى ظل وقف المبانى. أن يستخرج رخصة أكل ، أو عمل تصالح على وجبة بناية جسدية !

● لقد كانت الفرخة تسير مع العدس والفول والبصارة ، كأكلات شعبية فى متناول الطبقة المتوسطة، وتحت المتوسطة ، وإذ بسعر العدس والفول والبصارة يرتفع فارتفع أيضا سعر الفراخ ، فمن أين يجئ المواطن بالبروتين ؟

● يروى أن ابنة حاكم ، وهو غير حاكم فنان الكاريكاتير ، عندما سمعت الشعب يهتف «عاوزين ناكل هم هم هم » ، سألت والدها الحاكم « ما الذى يمنعهم من الأكل يا دادى » ، فقال لها « لا يجدون ما يأكلونه» ، وكانتِ تجلس على السفرة التى كانت عامرة بالبط والإوز والحمَام المحشي بالفريك، والديوك الرومي والفاكهة والحلويات من كنافة وبسبوسة وجلاش ، وربما السمسمية والحمصية فقالت (وهى تنظر للمائدة) لوالدها « ألا يوجد على موائدهم البط والإوز والحمام والديوك الرومي ، والفاكهة والحلويات من كنافة وبسبوسة وجلاش » !؟

● طبعا الشعب لا يطمع فى مائدة مثل مائدة بنت الحاكم ، فما هو على مائدة بنت الحاكم ليس من المستحيلات ، فهو متوفر فى المولات والسوبرماركتات ، لكن غير المتوفر فى الجيوب ، الأموال التى تشترى ما يعمّر المائدة !

● فعمّروا موائدكم بما لذ وطاب، ولكن أتركوا شيئا من البروتين للغلابة، على ألّا يكون هذا الشيء أرجل الفراخ!

تاريخ أسود للقروض والديون فى مصر

وفقا لبيانات البنك المركزى المصرى، بلغت ديون مصر الخارجية ١٥٥,٧ مليار دولار فى نهاية ٢٠٢٢، (وتعدت الـ ١٧٠ مليار في تقديرات أخرى). والديون الداخلية ٤,٧ تريليون جنيه فى يونيو ٢٠٢٠، وذلك وسط أزمة اقتصادية حادة ومزمنة وقرض جديد من صندوق النقد مشروط بتعليمات جديدة شديدة القسوة، أدت الى تخفيض هائل فى قيمة الجنيه وزيادة كبيرة فى التضخم وفى الاسعار، مع تصريحات وأحاديث وتكهنات عن اتجاه الدولة لبيع بعض اصولها للسداد فى محاولة للنجاة.

●●●

تخبرنا كتب التاريخ× انه بعد قيام قوات التحالف الاوروبى تحت قيادة بريطانيا بالعدوان على جيوش محمد على وهزيمتها وإكراهه على توقيع معاهدة (كامب ديفيد الأولى) المشهورة باسم معاهدة لندن ١٨٤٠ والتى نصت على انسحاب الجيوش المصرية من الشام والجزيرة العربية وغيرها ما عدا مصر والسودان، وتخفيض الجيش المصرى الى ١٨ ألف جندى فقط ..

نقول بعد ذلك، بدأت فورا قصة الاستعباد المالى لمصر التى انتهت باحتلالها عام ١٨٨٢، ذلك الاحتلال الذى استمر ٧٤ عاما، وفيما يلى ملخص الحكاية التى يجب ان نتعظ منها ونحفظها عن ظهر قلب:

– فى ١٨٣٨ وقعت تركيا مع انجلترا معاهدة تجارية تعطى امتيازات كبرى للانجليز، وفى ١٨٤٢ تم تطبيق هذه المعاهدة على مصر وبموجبها حرمت صناعاتنا الوطنية من الحماية الجمركية وكان هذا هو المسمار الاول فى نعش الاستقلال الوطنى.

– وفى ١٨٥١ اعطى عباس باشا للانجليز امتياز مد السكك الحديد فى مصر.

– وفى ٣٠ نوفمبر ١٨٥٤ أعطى سعيد للفرنسيين امتياز شق قناة السويس.

– ثم قام سعيد بعقد اول قرض اجنبى تجاوز ٦ ملايين جنيه استرلينى حين اصدر سندات على الخزينة بيعت فى البورصات الاوروبية لانه لم يكن من حق مصر فى ذلك الوقت حق عقد قروض خارجية دون موافقة الباب العالى.

– وفى عام ١٨٦٤ اقترض اسماعيل من مصرف "فروهلنغ وغوشن" مبلغا مقداره ٥,٧ مليون جنيه استرلينى، الا انه لم يدخل الخزينة المصرية فى الواقع سوى ٤,٨٦ مليون جنيه فقط.

– وفى ١٨٦٥ عقد اسماعيل قرضاً خاصاً مع البنك الانكلو. مصرى، واستلم نقداً ٢,٧٥ مليون جنيه استرلينى من اصل ٣,٣٨ مليون جنيه قيمة القرض الاسمية.

– وفى ١٨٦٦ عقد اسماعيل مع مصرف فروهلنغ وغوشن قرضاً لمد سكك حديدية بضمان السكك الحديدية المصرية. ولم تستلم الخزينة المصرية الا ٢,٦٤ مليون جنيه استرلينى من المبلغ الاسمى للقرض وقدره ثلاثة ملايين جنيه.

– وفى ١٨٦٧ عقد قرضاً " شخصياً " مع البنك الامبراطورى العثمانى (الانكلو. فرنسى) ، واستلم منه ١,٧ مليون فقط من اصل ٢,٠٨ مليون وهو المبلغ الإسمى للقرض .

– وفى ١٨٦٨ عقد قرضاً مع رجل الاعمال الدولى "اوبنهايم" بمقدار ١١,٨٩ مليون ولم تستلم مصر منه سوى ٧,١٩٥ مليون جنيه.

– فى ١٨٧٠ عقد قرضاً جديداً شخصياً مع صاحبى البنوك بيشفسهايم وغولدشمدت بمبلغ ٧,١٤٣ مليون، استلم منه ٥ ملايين جنيه فقط .

– واخيرا، وقع اسماعيل فى ١١يونيو ١٨٧٣ اتفاقية مع اوبنهايم لمنحه قرضا لتسديد اقساط الدين الجارى. وبلغت كمية هذا القرض الهائل ٣٢ مليون جنيه لم تستلم منه مصر نقدا إلا ٢٠ مليون جنيه بينما الزمت بدفع ٣,٥ مليون جنيه سنويا الى اوبنهايم على شكل فوائد .

●●●

وبذلك تمكنت البنوك الانكليزية خلال ١١ عاماً من ربط مصر بدين تبلغ قيمته ٦٨ مليون جنيه استرلينى، دفع منه نقداً فى الحقيقة ٤٦ مليون جنيه فقط واغتصب ما يزيد عن ٢٠ مليون جنيه كفرق تسعير ونفقات عمولة.

– كما بلغت سندات الدين الجارى لهذه السنوات ٢٦ مليون جنيه، دفعت عليها مصر فائضاً سنويا قدره ١٥٪ وحتى ٢٥٪.

– وهكذا بلغت قيمة دين مصر الخارجى الإجمالى قبيل عام ١٨٧٦ اربعة وتسعون مليون جنيه إسترليني.

هذا بالإضافة الى أن مصر قد انفقت فعليا على مد السكك الحديدية ٧٥ مليون فرنك بينما دفعت الى المقاولين الاجانب ٣٢٥ مليون فرنك. كما دفعت الخزينة المصرية ما يربو على ٢,٥ مليون جنية إسترلينى لشركة البناء الاوربية لغرض تشييد ميناء الاسكندرية بينما كلفته الفعلية ١,٥ مليون جنيه فقط.

●●●

أى أنه فى النهاية قد نشأ فى ذمة مصر للبنوك الاوروبية دين مقداره حوالى ١٠٠ مليون جنيه! تراكم فى اقل من ربع قرن من عام ١٨٥٤ حتى ١٨٧٦، وتبدد كالتالى:

– دفعت الحكومة المصرية ١٦ مليون جنيه على تشييد قناة السويس.

– تسرب الى جيوب اصحاب البنوك كفرق تسعيرة (سعر الصرف) ونفقات عمولة وغيرها ٢٢ مليون استرلينى لم تستلمها مصر ولكنها اضيفت الى دينها.

– دفعت مصر حتى عام ١٨٧٦ ما يربو عن ٥٠ مليون استرلينى كفوائد على القروض الاصلية وسندات الدين.

– لم ينفق فى الحقيقة سوى مبلغ يتراوح بين ٥: ٦ ملايين استرلينى على تشييد منشآت تعود بالفائدة على مصر.

وهكذا نشأ القسم الأكبر من دين الدولة المصرية نتيجة المكائد الاجرامية التى دبرتها المصارف الانجليزية والفرنسية، ولم يستلم الشعب المصرى فى الواقع شيئاً من ذلك الدين الذى أثقل كاهله والذى أرغم على تسديده فيما بعد بثلاثة اضعاف قيمته الأصلية.

ناهيك عن القروض الداخلية كالمقابلة والروزنامة فى عامى ١٨٧١و١٨٧٤

ولقد ساعدت عوامل اخرى على تفاقم هذا الأوضاع ومن ذلك أنه:

– فى عام ١٨٦٣ قرر إسماعيل تحريم العمل الاجبارى فى حفر قناة السويس، فثار خلاف حاد مع ديلسبس ، فقام الخديوي، وياللعجب ، بتفويض نابليون فى هذا الخلاف وكانت النتيجة هى الحكم على مصر بغرامة ، تبعها لجوءها إلى مزيد من الاقتراض لسداد الغرامة

وكانت تركيا فى ١٨٧٣ قد وافقت، تحت الضغط الاوروبى، على اعطاء مصر حق الاقتراض المستقل، وهو ما تم توظيفه اسوأ توظيف.

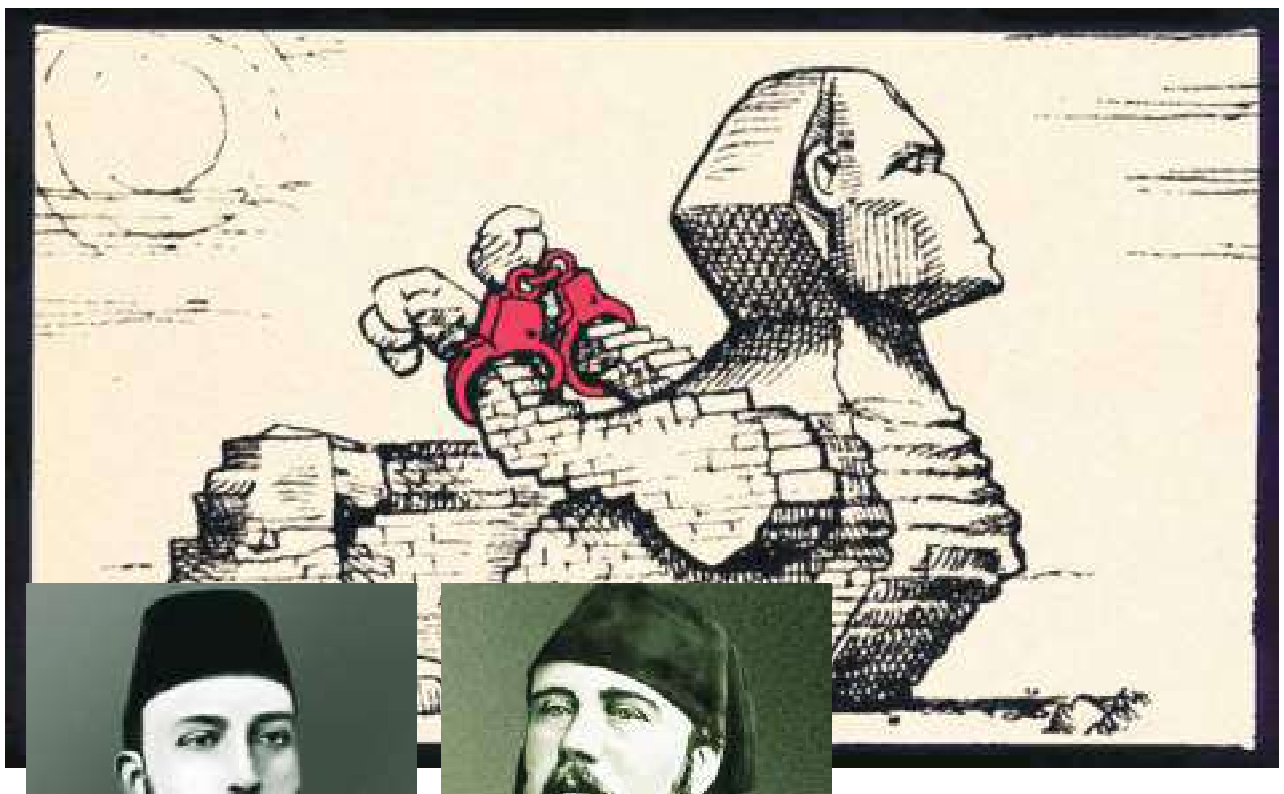

●●●

وكانت النتائج الوخيمة على الوجه التالى:

– فى ٢٥ نوفمبر ١٨٧٥ تم بيع اسهم مصر فى قناة السويس لبريطانيا لسداد الديون، وكانوا ١٧٦ الف سهم، وبيعت بـ ٤ ملايين جنيه استرلينى اقترضها رئيس وزراء بريطانيا دزرائيلى من صديقه روتشيلد. ٤ ملايين فقط! رغم انه كلف مصر ١٦ مليون جنيه وأغرقها بديون بلغت ١٠٠ مليون جنيه وفوائد ٣٠٠ مليون جنيه، وقد بلغت قيمة الأسهم المبيعة فى عام ١٩١٠ مبلغا قدره ٣٥ مليون جنيه .

– وفى ١٨٧٥ تم إعلان إفلاس تركيا، وهو ما انعكس على مصر فورا، ففرضت بريطانيا عليها لجنة لفحص شئونها المالية

– وفى ١٨٧٦/٤/٨ توقف إسماعيل عن دفع سنداته المالية وأعلنت مصر إفلاسها.

– وفى ١٨٧٦/٥/٢ تشكلت لجنة لمراقبة دين الخديوى من فرنسا والنمسا وايطاليا، وقررت توحيد الدين المصري

– وفى ١٨٧٦ تشكلت لجنة ثنائية انجليزية فرنسية لمراقبة مصر ماليا.

– وفى ١٨٧٨ تشكلت اول وزارة اوروبية فى تاريخنا برئاسة نوبار باشا الأرمنى الاصل وثيق الصلة ببنوك لندن وباريس وكان وزير المالية فيها إنجليزى ووزير الأشغال العامة فرنسى.

إسماعيل

ففرضت زيادة فى الضرائب على المواطنين، وامتنعت عن دفع اجور الضباط المصريين، ثم قامت بتسريح ٢٥٠٠ ضابط وتخفيض الرواتب الى النصف.

ووضعت خطة مالية لادارة مصر عرفت باسم "خطة ويلسون" نزعت من الخديوى أى صلاحيات مالية وتم منح الوزيرين الانجليزى "ولسن" والفرنسى "دى بلينيير" حق الفيتو ضد أى مشروع حكومى وكان أهم ما تضمنته الخطة هو رفع ضرائب الأرض الخراجية والعشرية وإلغاء القروض الداخلية من أجل القروض الخارجية.

فغضب اسماعيل وقام فى ١٨٧٩/٤/٧ بحل الوزارة الاوروبية وتأليف وزارة وطنية برئاسة شريف باشا التى قام بعزل عدد من الموظفين الاوروبيين وزيادة عدد الجيش إلى ٦٠ الفا ووضع أول دستور لمصر.

وفى١٧مايو ١٨٧٩ عرض مشروع اللائحة الاساسية وقانون الانتخاب على مجلس النواب، وفى ٨ يونيو ١٨٧٩ وافق المجلس ووضع خطة مالية وطنية، فاعترضت بريطانيا وفرنسا وألمانيا والنمسا على الخطة المالية.

توفيق

وقامت إنجلترا وفرنسا فى ١٩يونيو ١٨٧٩بتوجيه إنذار انجليزى فرنسى لإسماعيل بالتنازل عن العرش ، دعمته ألمانيا والنمسا وروسيا وإيطاليا ، وضغطت على السلطان عبد الحميد الذى أقال اسماعيل فى ٢٥ يونيو ليغادر إلى إيطاليا ، ويعين الخديوى توفيق بدلا منه.

وفى ١٨٧٩/٩/٤ تم إعادة الرقابة المالية الثنائية وإقالة الوزارة الوطنية، وكلف رياض باشا بالوزارة الجديدة الذى أمر بتخفيض الجيش إلى ١٨ ألفا فقط، كما تم إلغاء فرمان ١٨٧٣ ، فحرمت مصر مجددا من حق عقد قروض خارجية، وفى يناير ١٨٨٠ طبقت خطة ولسن المالية التى حددت الدين المصرى بـ ٩٨ مليون جنيه وزادت الضرائب على الفلاحين، وامتنعت عن دفع مرتبات الضباط بالإضافة إلى ترقية الضباط الشراكسة دون المصريين.

فثار الجيش وتمت إقالة رياض وتكليف شريف باشا بالوزارة الجديدة.

وفى ١٨٨١/٩/٩ قامت الثورة العرابية.

وفى ١٨٨١/١٢/٢٦ أصر مجلس النواب المصرى على حقه فى التصويت على الميزانية المصرية.

فقامت انجلترا وفرنسا بتوجيه إنذار إلى مصر فى ١٨٨١/١٢/٢٦ تعلنان فيه رفضهما لأى صلاحيات مصرية تخص الميزانية، وقبل شريف باشا الإنذار وغضب المجلس فاستقالت الوزارة، وتم تعيين وزارة وطنية جديدة بقيادة البارودى وكلف عرابى بالحربية فى ٥ فبراير ١٨٨٢

وفى ٥ فبراير تم نشر اللائحة الاساسية وإبطال المراقبة الثنائية وإعداد قانون انتخابات جديد ، فثار الفلاحون ضد ملاك الأراضى وخاف الاقطاعيون من الحركة الجارية وتصاعدت الثورة، فبعثت انجلترا وفرنسا بأساطيلها إلى الاسكندرية فى ٢٠ مايو وطلبت من الخديوى إبعاد عرابى وعلى فهمى وعبد العال وإقالة وزارة البارودى ، فقبل الخديوى الذى هرب إلى الإسكندرية فى ١٣ يونيو

وانعقد فى ٢٣ يونيو مؤتمر للدائنين ضد مصر فى القسطنطينية من كل من فرنسا وانجلترا وروسيا والنمسا وألمانيا (مؤتمر النزاهة).

وفى ٦ يوليو وجه الأميرال سيمور إنذارا أول إلى رئيس حامية الإسكندرية بتوقيف أعمال التحصينات، ثم إنذارا ثانيا فى ١٠ يوليو، وبدأ قصف الاسكندرية فى ١١ يوليو الذى انتهى بوقوع مصر تحت الاحتلال البريطانى لمدة ٧٢ سنة.

وقام الانجليز فورا بعد استسلام عرابى بنزع سلاح الجيش المصرى وتسريحه وارغام مصر على دفع ٩ مليون جنيه استرلينى تعويضا للإنجليز، وتم إلغاء الرقابة الثنائية، وتحويل مصر إلى مزرعة قطن لبريطانيا .

وفى ١٨٨٥ وقعت اتفاقية دولية لديون مصر، وفى ١٨٨٨ وقعت اتفاقية القسطنطينية بشان قناة السويس من كل من فرنسا وروسيا وألمانيا والنمسا والمجر وإيطاليا واسبانيا وهولندا وتركيا .

●●●

وناضلت أجيال كثيرة من الشعب المصرى إلى أن نجحت فى تحرير مصر ١٩٥٦/١٩٥٤، ولكن بعد أن كان الاستغلال الاستعمارى الطويل قد أنهك مصر وتسبب فى تأخرها وتخلفها عن نظرائها، وهو التخلف الذى لا تزال آثاره ممتدة حتى اليوم.

ومنذ ذلك الحين، استقر فى الضمير الوطنى المصرى ان الاقتراض هو أقصر الطرق الى التبعية.

فهل تتكرر المأساة؟

بقلم: محمد سيف الدولة
SEIF_ELDAWLA@HOTMAIL.COM